دوائر القتل

"طرد من المجني عليه"

ياسمين السيد إبراهيم

إهداء

إلى كل قارئ، استقطع من وقته لقراءة روايتي، أرجو أن تنال إعجابك.

وإلى روح الكاتبة العظيمة، ملهمتي، مَن تركت لنا إرثًا كبيرًا من الأعمال الماتعة وجعلتني أدمن هذا اللون من الأدب على نحو خاص: أجاثا كريستي.

كما أود تقديم شكر خاص لكلٍ من:

- **صديقتي الغالية دكتورة القانون بجامعة المنوفية: آلاء علاء الصاوي**
- **دكتور الطب الشرعي: محمد مصطفى**

على معاونتهما لي وتزويدي بإجابات ما دار بخلدي من أسئلة أثناء كتابة الرواية.

" الحياة الفعلية مليئة بالأدلة الكاذبة ولافتات .. لا تؤدي إلى أي مكان "

إي.إم.فورستر

1

في قسم قصر النيل:

في ليلة شتوية عاصفة، وفي تمام الساعة التاسعة مساءً، انكفأ الملازم أول حسام مندور على مكتبه بإنهاك، لم يعد يطيق احتمالًا، ذلك الشاب الوسيم ذو البشرة الفاتحة والشارب الأسود العريض فوق فمه المتسع في تثاؤبٍ، أضناه التعب ونفدت كل طاقته وقواه إذ إنه لم ينعم بالنوم منذ ثلاثة أيام كاملة والشغل لا ينفك يتكاثر فوق رأسه، فرد جزعه، وطقطق عظام ظهره، وأخذ يمرّن رقبته المتيبسة، وما لبث أن نهض عازمًا أمره على الذهاب إلى قائده آملًا أن يعتقه ويتركه يعود أدراجه لينعم بقسط قليل من الراحة والنوم الذي ترفع عن زيارته، وقف أمام باب مكتبه يستجمع قواه، نظر إلى اللوحة المعلقة بجانب الباب مكتوب عليها " المقدم خالد الدكروري"، تذكر لحظة أن علم بأنه سيعمل معه؛ فأضحى يقفز ويثب فرحًا، فالمعروف عن خالد أنه رجل المهام الصعبة في المباحث الجنائية ؛ مشهورٌ هو بحل القضايا الغامضة وإماطة اللثام عن المجرم مهما بلغ ذكاؤه ومكره، كان حسام على يقين أنه سيتعلم منه الكثير فضلًا عن استمتاعه بالعمل رغم شقائه، لكنه لم يكن يعلم أنه سيخسر

نصف وزنه في العمل معه لمدة شهر واحد، إذ إن خالد لا يتهاون في أعماله ولا يقبل بأنصاف مجهودات.

استجمع حسام شجاعته وقرع الباب؛ فأذن له بالدخول. فتح الباب ليظهر خالد الشاب الثلاثيني الأنيق ذو الجسد المتين والقسمات الجادة واللحية الحليقة، يشي ذقنه المستدق بإصراره وقوة عزيمته، بينما تبعث عيناه السوداوان الثاقبتان على الحذر والاحتراس. أما ثيابه فكانت غاية في الأناقة إذ يهتم بهم وبشعره الأسود القصير على نحو خاص، وعلى الرغم من كونه لا يمتلك من الوسامة قدرًا كبيرًا إلا أنه كان دائمًا محط أنظار النساء إثر ما يمتلكه من شخصية جذابة، فكان في نظر الرجال قويًا مهيبًا ومثال مبهر، وفي نظر النساء الرجل الرصين، الجذاب، قوي الشخصية، على الصعيد العام كان يرهبه الجميع، يبدو من هيئته أنه لا يخشى شيئًا وإن كان مثل الجميع يمتلك نقاط ضعف لكنه ضليع في إحالتها لتصبح مراكز قوته.

ولج حسام وألقى التحية:

- مساء الخير يا خالد بيه!

- مساء النور يا حسام، تعالَ!

جلس على المكتب أمامه بينما كان خالد منهمكًا في عمل ما ولم يرفع رأسه عن الملف بيده، جعل حسام يفكر كيف سيطرح عليه الأمر؛ فسأله:

- إيه يا فندم حضرتك مش ناوى ترَوح تستريح شوية ولا إيه؟

ضحك وكأنه فهم قصده، وأردف:

- أنا بردو اللى عايز أستريح، على العموم...

قطع حديثه رنين الهاتف، فمضى حسام يسب ويلعن المتصل في سره، مرددًا في نفسه "ده وقته؟!"

رد خالد، وتفاجأ حسام بالوجوم يحل على ملامح وجهه؛ فأخذ الفضول يؤزه أزًا يتساءل عما ورده من ذلك الاتصال اللعين، لكنه لم يتركه لتكهناته كثيرًا، إذ قال له بعدما أغلق الخط وأمارات الأسف تحتل قسماته:

- والله يا حسام أنا كان في نيتي أروحك وأروح أنا كمان بس الظاهر مش مكتوبة لنا.

- خير يا فندم!

- جالنا بلاغ من بواب عمارة في الشارع اللي ورانا بيقول إنه لقى واحد من السكان مشنوق في شقته.

أخذا القوة وركبا "البوكس" وغادروا إلى موقع الحادث، وصلوا العقار المنشود وصعدوا الطابق الثالث، وكعادة الناس في المصائب والرغبة في إشباع فضولهم في الالتمام حول الواقعة، قام رجال الأمن بإحاطة المكان بالشرائط الصفراء ومنع دخول غير المختصين، ووقف خالد وحسام مع أول شرطي وصل مسرح الجريمة عقب تلقي البلاغ يستخبران منه عن الأحداث، ومن ثم تولى المقدم خالد مسئولية القيادة في مسرح الجريمة حتى يصل المحقق الجنائي، وقبل أن يدلفا شقة المجني عليه، توقف خالد وسأل رجلاً عجوزًا تجعدت قسماته السمراء حول عينيه وفمه، يرتدى جلبابًا رماديًا وعمامة بيضاء:

- أنت البواب اللي بلغ عن الواقعة؟

رد بخوف وهو يرتجف:

- إ.. إيوا يا بيه، أني اللي بلغت.. خدامك عرفه.

دخلا شقة القتيل وكانت كالتالي: الصالة مقسمة إلى نصفين: نصف كغرفة معيشة والآخر استوديو تصوير حيث إن المجني عليه كان يمتهن التصوير الفوتوغرافي، تحتوي الصالة على غرفة مغلقة لاستقبال الضيوف ومطبخ مفتوح ذي طراز أمريكي وهو بداية رواق صغير، يوازيه غرفة نومه وتنتهى بالحمام.

لحظتئذ دخلا من باب الشقة إلى الصالة وقعت أعينهما على مشهد مروع من شأنه سلب الأنفاس وتوقف القلوب، كان هناك القتيل وهو يبدو أنه شاب في أواخر العشرينيات يتدلى من السقف مشنوقًا بحبل معلق في مروحة السقف، جليةٌ على وجهه علامات الاختناق وتحته كرسي مقلوب على الأرض، لم يتمالك حسام أن اقشعر بدنه وشعر بالغثيان، التفتَ إلى أخالد ليجد وجهه خاليًا من أي تعبير وكأن هذا أبسط ما رآه لليوم، استدار خالد إلى أحد فريق الطب الجنائي الذين وصلوا بعدهما بدقائق وتناول منه قفازًا وارتداه ومن ثمَّ اقتربا من الجثة، وشرع خالد في فحصه بعناية ودقة اعتادهما لئلا يفسد أي دليل من شأنه مساعدتهم في حل القضية، تبينا أمارات الاختناق عن كثب: ازرقاق واحتقان وجهه المنتفخ، وظهور زبد أبيض على جانب فمه وخروج اللسان منه، جحوظ عينيه ونقاط نزف فيهما، تركا المجال لفريق الطب الجنائي ليقوموا بعملهم ومضيا يفحصان الشقة، لا يبدو هناك أى علامات عنف أو هجوم ولا دفاع، كل شيء مستقر ولو أن شقة القتيل أبعد ما يكون عن الاستقرار إذ تمتلئ جدران شقته بالصور الأبيض والأسود موزعة بطريقة عشوائية والتابلوهات كبيرة الحجم في غرفة النوم ذي الطراز البوهيمي، للحظة تخيل حسام أن الضحية كان مختلًا أو أنه يعانى من اضطرابات نفسية وإلا كيف له أن يعيش في مثل هذه الأجواء.

استدار خالد إلى البواب، وسأله كيف اكتشف الحادث؛ فأجابه ومازال يرتعد وعيناه اليسرى تختلج:

- أني يا بيه كنت جاعد على باب العمارة لما جه طلب أكل لأستاذ كمال ولأن صاحب العمارة مانع بتوع التوصيل يطلعوا العمارة علشان حاطط كلب على الباب زي ما سيادتك شفت، وممكن يعمل مشكلة مع أي حد غريب؛ فأنى أخدت الطلب أطلعه، رنيت الجرس أكتر من مرة بس محدش فتح، جمت خبطت على باب الشقة بس لجيت إن الباب مفتوح؛ فندهت عليه ماردش فتحت الباب بالراحة لجيته.. لجيته زي ما سيادتك شايف كده يا بيه.

- طب قل لي يا عم عرفه، فيه حد عايش هنا مع القتيل؟

رد بنبرة يجتاحها الأسى:

- لا يا بيه هو كان عزابي وعايش لوحده وعامل هنا استوديو تصوير يعنى شغله بردك هنا.

لفت نظر حسام وهو يتفقد الشقة حينما مر أمام غرفة النوم شيئًا بيَد أحد فريق رفع البصمات يضعه بكيس بلاستيكي بعناية؛ فجذب انتباهه ودخل يسأله عن كنه هذا الشيء وكان عبارة عن علبتين من الدواء؛ فردَّ مجيبًا بثقة:

- دى أدوية مضادات اكتئاب ومهدئات يا فندم.

خال له أن الأمر بات واضحًا، خرج من الغرفة بحثًا عن خالد حتى وجده بجانب الجثة وقد أنزلوها بعد تصوريها ورفع البصمات أسفلها وحولها، جلس في وضع القرفصاء بجانب جثة المجنى عليه وشرع في فحصه؛ فأمسك بذقنه برفق يدير رأسه يمينًا ويسارًا متفقدًا موضع الحبل وبحثًا عن أي آثار عنف أو اعتداء، كذلك بحث في يديه وذراعيه حتى بنطاله ذلك الأمر الذى أثار عجب حسام، كما لفت انتباهه وشمٌ على ذراعه الأيمن يمثل رمز اللانهاية بشكل مزدوج. ارتقى بناظريه إلى خبير المسرح الجنائي متسائلًا:

- أعتقد الوفاة حصلت من ساعة تقريبا مش أكتر من كده؟

رد الخبير مؤكدًا:

- بالظبط يا فندم، أعتقد لما تم اكتشاف الواقعة ماكانش عدّى أكتر من نص ساعة على وفاته.

انتصب خالد بجزعه، وجعل يدقق النظر في الحبل المربوط بالمروحة، ثم بدل نظره إلى القتيل المسجي على الأرض يحدق به بغرابة، وكأنه يسأله عن أمر ما وينتظر أن يجيبه؛ فسأله حسام:

- أظن كده القضية واضحة يا فندم.

سكت قليلًا، ثم استدار إليه بتؤدة، وأردف بنبرة غامضة:

- تفتكر؟

رد بدون تردد:

-طبعا يا فندم، هو سعادتك عندك اعتقاد تانى؟

- ربما!

- إزاي يا فندم؟

تركه ودخل الاستوديو فدخل خلفه، مكان عشوائي وفوضوي كسائر غرف المنزل، كاميرات في كل مكان وأدوات ومعدات التصوير في الأركان، ومكتب استقر فوقه جهاز كمبيوتر محمول "لاب توب" وطابعة، وفجأة..

استرعى انتباه خالد شيء فوق المكتب.. ورقة!

تناول الورقة الخارجة من الطابعة، ومسرعًا فتح جهاز اللاب توب، حينها نادى أحد رجال رفع البصمات وطلب منه رفع البصمات الموجودة على اللاب توب ولوحة المفاتيح خاصته والطابعة. كان حسام واقفًا متعجبًا لا يفقه شيئًا حتما مد له يده وأعطاه الورقة؛ فأخذها بلهفة علّه يكبح لجام فضوله، وبدأ يقرأ ما بها حالما كان يخبره أنه عندما فتح اللاب توب وجده مغلقًا على هذه الرسالة مكتوبة على برنامج الـ word بينما كان الجهاز على وضع sleep :

"حبيبتي سارة، أنا آسف إني مش هقدر أوفى بوعدي ليكي إني أفضل معاكي وجنبك طول العمر، وآسف على كل وجع هتحسيه بسببي بس أنا خلاص مش قادر أكمل، أنتِ أكتر واحدة عارفة اللي مريت بيه في حياتي، عارف إنك ممكن تشوفيني أناني أو ندل بس صدقيني مش بإيدي، حاولت أتعالج من الاكتئاب علشانك، والله حاولت كتير بس خلاص مش قادر مش طايق الدنيا أكتر من كده.. أرجوكِ سامحيني وافتكري لي الحاجات الحلوة".

طرق حسام بإصبعه على الرسالة كمن امتلك حجة يصدّق بها على ادعائه، وقال:

- ده دليل على اعتقادي يا فندم، القتيل كان بياخد أدوية اكتئاب واللي مكتوب في الرسالة ده كمان بيوضح إنه وصل لدرجة اكتئاب حاد أدت لأنه ياخد قرار الانتحار.

أطرق خالد برأسه وهو يقول بهدوء:

- تفسير منطقي.

تعجب حسام لنبرته وردة فعله؛ فسأله:

- سعادتك ليك رأى تاني مش كده؟

تنهد وصمت لحظة ثم نظر لعينيه، وقال:

- بصراحة يا حسام، أنا شاكك.. لا متأكد إن دي مش عملية انتحار.

تغضن جبينه ورمقه باستغراب، وهو يحاول أن يجد سببًا ليقينه ذلك؛ فتساءل:

- قصد حضرتك إن حد قتله؟

- اسم الله عليك، عرفتها لوحدك؟

لم يعر انتباهًا لسخريته بل جعل يفكر في الأمر، ثم قال:

- يعنى حضرتك شايف إنه اتشنق مش شنق نفسه.

هز رأسه نفيًا، وزم فمه معارضًا:

- صعب.. إنك تشنق حد ده صعب لأنه هيقاوم، إلا إذا كان مش في وعيه، أنا برجح إنه حد هاجمه وخنقه وبعدين علقه علشان يبان إنه انتحر وتتقفل القضية على كده.

وجد حسام صعوبة في تقبل ذلك الأمر وكأنه قد علق فى أمر الرسالة؛ فقال:

- بس ماعندناش دليل يدعم ده يا فندم، إنما الدليل اللي بيدعم فكرة الانتحار موجود، القتيل كان بيعاني من اكتئاب وصله لحالة الانتحار والرسالة..

قاطعه خالد وهو يلثم سيجاره بين شفتيه وبعد أن قام بإشعالها قال:

- الرسالة دي مش دليل يا حسام، باختصار هي بتحمل معنيين إما تدعم إنه انتحر أو اتقتل.

- إزاى يا فندم؟

- لأنه يا حسام لو كان عايز يوصل لها الرسالة دي ففي طرق أسهل بكتير دلوقتى، كان ممكن مثلا يبعتها لها على الواتس آب أو أي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي أو حتى كان كتبها بخط إيده مش يكتبها على وورد ويطبعها.

- قصد حضرتك إن اللي قتله -ده لو فرضًا إنه اتقتل- عمل كده علشان مايتكشفش إن الخط مش خط حازم.

- بالظبط، ده اعتقادى..

اندهش حسام لابتسامته المفاجئة، وكأنه قد غفل عن أمر ما، فقال خالد:

- طب تعالى معايا كده.. بص هنا شايف إيه؟

نظر حسام إلى حيث أشار وكانت طاولة الأنتريه فأجابه دون فهم:

- كوباية عصير رمان.. مشروب نصها.

- بالظبط، طب وهنا.

أشار على الأرض ناحية باب الشقة؛ فقال له:

- أوردر الأكل.

رد بتعقل، وقال:

- بالظبط! تفتكر واحد ناوى ينتحر وبيعاني من اكتئاب حاد زي ما بتقول كان مزاجه رايق أوى وقام عمل عصير رمان وكمان طلب أكل؟!

تفكر حسام قليلًا، وقال:

- أنا معاك يا فندم إن دي حاجة غريبة بس مش دليل على إن حد قتله..

قاطعه قائلًا:

- الدليل اللي هيعرفنا هو تقرير الطب الشرعي، واللى نقدر نعرف منه الأمور الظاهرية دلوقتي..

وفجأة رفع يده مشيرًا إلى الحبل الذى اختنق به القتيل وقال بثقة:

- بص وركز! شايف الحبل وبالتحديد دايرة الحبل؟

هز رأسه أنه نعم؛ فتابع:

- في حين لو إنه انتحر كان اتجاهها هيبقى رأسي لكنها هنا باتجاه أفقي، وده أول هام، تانى هام إن دايرة الحبل كاملة بمستوى العظم اللامي، تالت هام بقا وهو العمق! العمق بتاعها قليل، أما رابع حاجة وهي ..

توقف لحظة ثم انحنى إلى جثة المجنى عليه ورفع رقبته وقال:

- أثر الحبل قليل الوضوح وكمان بمستوى الأذية تحت الجلد.. كل دي علامات الخنق مش الشنق او الانتحار.. كمان لو كان انتحر كنا هنلاقي قذف للحيوانات المنوية وده مش موجود.

لم يخفِ حسام أمارات الدهشة الناطقة على وجهه، بدا منحازًا لتحليله المنطقي بل وبدأ يقتنع به إلى حد كبير، فمازالت هناك شكوك تراوده حول الانتحار ودافع الاكتئاب؛ فاسترعى انتباهه بغتة تناول خالد لعدسة مكبرة وشرع يفحص بها الحبل، قطب حاجبيه وهو يحاول فهم ما يفعل حتى أردف خالد وهو مازال يدقق النظر بالحبل:

- دلوقتي أقدر أشوف جهد الشد.. تعالى كده بص.

أعطاه العدسة ونظرت بها: فسأله:

- ألياف الحبل اتجاهها فين؟

أجابه:

- لـ فوق؟

قال مؤكدًا:

- بالظبط وده معناه إن القتيل اتعلق بعد الوفاة.

يبدو أنه لمس حيرته؛ فاستأنف حديثه مفسرًا:

- هنا المجرم لف الحبل حوالين رقبة المجنى عليه ولما اتأكد من موته رفع الحبل لفوق لتعليقه يعنى قوة الشد المطبقة تكون للأعلى، فهمت؟

هزَّ رأسه وما زال يفكر؛ فتابع خالد:

- وطبعًا هنستنى تقرير الطب الشرعي هو اللي هيأكد لنا كل ده خاصة بعد الفحوصات الداخلية.

أومأ حسام متفهمًا، بينما وصل مسامعهما صوت ساخر يقول:

- أرَوَّح أنا بقا!

انتبها إلى الصوت المفاجئ؛ فضحك خالد لما وجده الطبيب الشرعي وصديقه "يوسف إسماعيل" فعقب:

- أنت على طول متأخر كده؟

ثم نهض، وصافحه بحرارة متابعًا:

- چوو، عامل إيه يا حبيبي؟

- بخير يا سيادة المقدم، عاش من شافك.. أخبارك إيه؟

ثم رحب بحسام وعاد معلقًا مشيرًا بحديثه إلى خالد:

- أهو أنا متأكد لو كان خالد بيه مادخلش شرطة كان هينفع عندنا جدا في الطب الجنائي، خالد شخصية واسعة الاطلاع ومابيحبش يسيب هفوة تعدي من تحت إيده.

خجل خالد لإطراء مقدرته؛ فهو شخصيًا لا يحب التباهي ولا يرى أن القيام بواجباته يستحق المبالغة؛ فأخذ الحديث إلى مسلك آخر ومضى يتناقش مع حسام بشأن استجواب معارف وأقارب المجنى عليه؛ فسأله:

- قول لي عرفت إيه عن القتيل وسكان العمارة.

أعطاه حسام هوياتهم الشخصية وأردف:

- القتيل يا فندم كان بيشتغل فوتوجرافر زي ما حضرتك شايف، مفيش غير اتنين بس بيزوروه: خطيبته الآنسة سارة وصاحبه أحمد، سكان العمارة بقا فهما أربعة، الأستاذ توفيق صاحب العمارة وده شقته قدام شقة المجنى عليه وأستاذ فؤاد وده أعزب وعايش لوحده زي كمال وبيشتغل كول سنتر في شركة للاتصالات وده ساكن فى الدور الأول، ودكتور ممدوح وأسرته وهو طبيب جراح بالمناسبة وده في الدور الرابع، وأستاذ عز وده لسه مانعرفش عنه حاجة لأنه مش موجود دلوقتى وشقته في الدور الأول بردو قدام شقة فؤاد.

- يعنى إيه ماتعرفش عنه حاجة، فين صاحب العمارة؟

- والله يا فندم الراجل ده غريب جدا سابنا فجأة ودخل شقته وهو بيسب ويلعن في القتيل ولما وقفته قال لي:

"يا حضرة الظابط لما تحتاج منى كلام ابقا اتفضل الباب في الباب، ده كل اللي أقدر أقدمه لكم، كفاية المهزلة دي"

هز خالد رأسه بتفكير يدمدم "وماله! الباب فى الباب"

ثم انتبه له، وقال:

- شوف لي عز ده فين وجيبه في أسرع وقت واستدعي خطيبته وصاحبه.

- تحت أمرك يا خالد بيه!

كادا يدخلان غرفة الصالون والتي اعتمداها لاستجواب السكان فيها، لكن استرعى انتباههما صوت ضجيج يأتي من باب الشقة؛ فنادى العسكري:

- أنت يا ابنى، فيه إيه عندك؟

أتى راكضًا، ثم قال:

- فيه واحد برة يا فندم بيقول إنه جايب طلب للقتيل.

سمع الشاب بالخارج ما قاله العسكري؛ فردد بهلع "ق..قتيل!" وهمَّ بالهرب لكن حسام استوقفه بنبرة صارمة وأتى به العسكري إلى الداخل؛ فظل يردد بهيستريا:

- أنا أنا ماليش دعوة يا باشا، معرفش حاجة والله أنا أنا...

رفع حسام يده لتستقر على كتفه وأردف بهدوء:

- اهدا يا ابنى محدش بيتهمك بحاجة.

هز رأسه عدة مرات بتوتر؛ فواصل :

- احنا بس عايزين نعرف أنت مين وإيه اللي كنت جايبه للقتيل؟

- قتيل! لأ ، معرفش أنا، هو.. الشغل.. أنا ماليش دعوة.

رمق خالد حسام بحنق واستدار مهمهمًا: يعنى لازم تقول له قتيل، البس بقا.

ثم قال للشاب بهدوء:

- اهدا يا ابني قولنا لك مفيش حاجة، أنت مين وإيه اللي كنت جايبه.

رد وهو يرتعد من الخوف:

- أنا يا باشا، أنا اسمى محمد جمال، بـ.. بـ.. بشتغل عند عم إبراهيم عبد الناصر مصمم بدل رجالى في الشارع اللي ورانا، كان أستاذ كمال جه من أسبوعين وقال له إنه عايز بدلة فخمة ضروري و.. وحتى كان لسه عندنا امبارح ظبطناها عليها وكويناها وجبتها له النهاردة.. أهي يا باشا اتفضل.

حدق خالد بحسام بنظرة شاخصة يعلو ثغره ابتسامة غريبة، ثم اقترب منه وقال بصوت خافت:

- لسه شايف بردو إنه انتحر!

أخذوا البواب إلى غرفة الصالون للاستجواب بينما كان فريق الطب الجنائي على وشك المغادرة بعدما انتهى عملهم.

جلس البواب يبدل نظراته الهلعة بينهما وكأنهما أشباح ستخطف روحه إلى عوالم خفية، استقر خالد في جلسته ورمقه بنظرة مطولة قبل أن يبدأ استجوابه المبدئي ريثما يحضر المحقق:

- قل لي يا عم عرفة، ما لاحظتش أي حاجة مختلفة في كمال الأيام اللي فاتت؟

- حاجة زي إيه بيه؟

- يعنى تصرفاته، حالته النفسية كده يعنى.

- إيوا إيوا يا بيه، حكم الأستاذ كمال بجاله فترة إكده مش على بعضه.

- مش على بعضه إزاي يعني، وضح أكتر!

- يعني، يعني يا بيه على طول إكده عصبى على الفاضية والمليانة، طالع نازل بيزعَج، ووشه خس وبجى جد اللجمة

وأكنه مهموم أو حداه مشاكل وكله كوم والسجاير كوم تاني يا بيه بجا حريجة سجاير.

- طب فيه حد كان بيزوره الفترة الأخيرة؟

- محدش بيزوره يا بيه غير خطيبته حتى الزباين، رجليها اتقطعت من إهنه ولو حد جه بيتحجج ويمشيه حتى هو بجاله له فترة مابيخرجش من البيت وكل حاجة بيجيبها بالطلب.

- امم، طب قل لي فيه حد غريب دخل العمارة النهاردة؟

فكر برهة ثم أقر:

- حصل يا بيه، أستاذ عز كان طلبني وجال لي أجيب له دوا الصداع دِه من الأجزخانة وبعتلى اسمه، رحت أجيبه من الأجزخانة اللي جدام العمارة، وجتها وأنا بتلفت لجيت حد داخل العمارة كنت هوجفه بس افتكرت إن أستاذ عز كان جايل لى إنه فيه ضيف هياجى يسكن عنده من النهاردة وفكرته هو.

تساءل حسام بحماسة:

- كان شكله إيه يا عم عرفة:

- أنى شفته من ضهره يا بيه هو كان طوله متوسط وولا هو تخين ولا رفيع وكان لابس تيشرت كحلي وبنطلون جينز ولا مؤاخذة حاطط الزعبوط بتاعه على راسه وشايل شنطة على ضهره.

قطب خالد حاجبيه، بيد أنه كان يفكر في أمر ذلك الغريب مثل حسام تمامًا الذي سمعه يسأله:

- طب عز ماشوفتوش وهو خارج من العمارة خالص أو حتى الراجل اللي دخل؟

- لا يا بيه يمكن خرجوا وأنا بجيب طلب أو لا مؤاخذة كنت في الحمام ولا حاجة.

- طب تفتكر يا عم عرفة كام مرة سبت العمارة أو البوابة بالتحديد وفى أى وقت؟

رفع عرفة ناظريه إلى الأعلى مستذكرًا، ثم قال:

- اا.. خمسة.. لا ستة.. لا لا سبع مرات يا بيه، مرة الضهر لما صاحب العمارة بعتني أجيب له حاجات من السوبر مارك، وتلات مرات لصلاة الضهر والعصر والمغرب، ومرة الساعة ٨ لما أستاذ عز طلب منى أجيب له الدوا من الأجزخانة و.. إيوا بعدها بساعة إلا ربع تجريبا سمعت صوت حاجة هبدت في الجهة التانية من العمارة، جريت يا بيه أشوفها حكم كل حاجة تحصل صاحب العمارة يتهمني بالإهمال ويخصم من الشهرية وهى يعنى الشهرية أد إيه يا بيه دي...

- وبعدين يا عم عرفة؟

- رحت لجيت الزلعة اللي على شباك السلم في الدور الأول وقعت فأخدتها وطلعتها و... هي دي كانت المرة الكام يا بيه؟

أشاح خالد بوجهه بعصبية؛ فبادر حسام قائلا:

- السادسة يا عم عرفة.

- إيوا إيوا صح، المرة السابعة بجا لما جه طلبية الأكل بتاع الأستاذ كمال الله يرحمه وخدته علشان أطلعهُ له.

وبينما كان خالد على وشك إنهاء استجواب البواب وعلى حين غرة سمعوا صوت نواح وصريخ في الخارج، فعلق حسام:

- واضح إن خطيبته جت يا فندم.

قال خالد لعرفة:

- ماشي ياعم عرفة، تقدر تتفضل وإياك تطلع من العمارة.

- تحت أمرك يا بيه.

قالها وهو يغادر وكأنه مسجون كتب له الإفراج من سجن طُرة بعد عشرين عامًا من الأشغال الشاقة، بينما خرجا هما كي يستطلعا الوضع، فوجئا بها تحاول منع رجال الطب الجنائي من أخذه متشبثة بجثمانه بانهيار تام، وإلى جانبها شاب يبدو في مقتبل الثلاثينيات يحاول منعها وبالفعل جذبها واحتضنها،

ومضت تبكى وتغرق ملابسه بمنهل من الدموع وهى تقول له بعدم تصديق:

- كمال راح يا أحمد، كمال راح.

ضمها وجعل يمسد على شعرها وهو يبكى أيضًا ويحاول تهدئتها:

- ششش.. بس يا سارة اهدي علشان خاطري، علشان خاطر كمال ماتعمليش كده .

- سابني ومشي ليه يا أحمد، وعدني إنه مش هيسيبني.

قالتها بصريخ، وهى تدب الأرض بقدميها بجزع وقلة حيلة، تزيد في بكائها وهو يضمها بشكل نال من استغراب حسام، ليس وحده.. بل خالد أيضًا كان ينظر إليه وحاجبه مرفوعٌ باندهاش صريح وضحك لحسام ضحكة خبيثة، طبعاً فهم مغزاها.

تقدم نحوهما خالد في خطى ثابتة، وقال بنبرة مواسية:

- أنا مقدر طبعا الحالة اللي أنتوا فيها، بس هنحتاج نتكلم معاكم، هنسيبكم تهدوا عقبال ما نستجوب صاحب العمارة.

هز أحمد رأسه متفهمًا، وخرج خالد وحسام إلى شقة الأستاذ توفيق، طرقا الباب وانتظرا حوالى دقيقتين حتما فتح وظهر

لهما وجهه الكئيب الممتعض وأشار لهما بالدخول مُكرَهًا دون أن ينبس ببنت شفة، دلفا واستقرا في الأنتريه؛ فأردف خالد:

- مش هناخد من وقتك كتير يا أستاذ توفيق.

جلس أمامهما بشموخ ينظر من تحت عويناته في اتجاه آخر، وقال بجمود:

- ماعنديش حاجة أقولها لكم يا حضرة الضابط.

انزوى فم خالد في ابتسامة ساخرة مستطردًا:

- مش لما تعرف الأول هنسألك عن إيه!

- أيًا كان أنا حذرته كتير وهو ماسمعش، دي آخرة النجاسة.

نزلت كلماته على مسامعهما كالرصاص؛ فقال خالد بتؤدة:

- يعني هو الراجل مات مايجوزش عليه غير الرحمة، إنما.. إيه هو اللي حذرته منه يا أستاذ توفيق.

بين سؤال خالد وإجابة توفيق رانت دقيقة من الصمت المطبق انفجر بعدها الرجل:

- شوف يا حضرة الضابط زي ما أنت قلت الميت مايجوزش عليه غير الرحمة. ماعنديش حاجة تانية تتقال.

احتقن وجه خالد فإن كان هناك ما يكرهه في الحياة فهو العودة من منتصف الحديث، ومع ذلك عُرف عنه أنه ضليع في أخذ

ما يريد بذكاء لذا غرق حسام في دهشته حينما غير خالد ضفة الحديث وقال:

- طيب يا أستاذ توفيق، ممكن حضرتك تقول لي هل لاحظت أي حاجة غريبة في المجنى عليه في الفترة الأخيرة؟

رد باقتضاب:

- لا.

- طيب بما إن الباب فى الباب، ماشوفتش أى حد غريب بيزوره الأيام اللى فاتت أو النهاردة تحديدًا؟

- أنا آسف يا حضرة الضابط بس أنا مش مهتم باللى بيزوروه ولا هقف ورا الباب أشوف مين جه ومين ماجاش.

زم خالد فمه بضيق، ثم نهض استعدادًا للمغادرة ولم يتحول نظره عن توفيق قائلا:

- على العموم يا أستاذ توفيق، لو حضرتك افتكرت أي معلومة ممكن تفيدنا تقدر تشرفنا في أي وقت.

وألقى عليه نظرة أخيرة أثارت عصبيته، ثم غادر وحذا حسام حذوه، عادا إلى شقة المجني عليه لاستكمال استجواب بقية السكان، حينئذ أدخل العسكري أحد السكان وكان طبيبًا في سن الأربعين ذو ملامح جامدة ويدعى ممدوح جمال الأنفوشي، أخذ خالد يقلب هويته الشخصية بين يديه ثم وضعها أمامه بلا مبالاة

بينما دلف الأول بهيئة تدعو للاحترام والهيبة، لكن مع ذلك لمح حسام بوجهه شيء من الوجوم وربما الغضب، لم يتبين ما في نفسه، ذلك الأمر الذي اعتبره عيبًا في حقه كضابط شرطة، كم تمنى لو يصبح خبيرًا في النفس البشرية مثل قائده لكن هيهات فخالد لا يضارعه أحد في توغله وخبرته في علم النفس وخاصة علم النفس الإجرامي. سمح خالد للطبيب بالجلوس قائلًا:

- معلش بقا يا دكتور أزعجناك.

- لا أبدًا. رد مقطبًا جبينه.

- حضرتك ساكن هنا من امتى؟

فكر الطبيب قليلا، ثم قال:

- من تلات سنين تقريبا.

- كان إيه مدى علاقتك بالمجني عليه؟

سكت الرجل لبرهة يفرك يديه بغضب أقرب منه إلى التوتر.. هل كان يجز على أسنانه؟.. ربما! ثم رد بعينين تتقدان غضبًا لم يتبينا سببه، إذ لم يكن السؤال به ثمة إهانة مثلًا، نظر خالد إلى حسام بطرف عينه، كان من الجلي أن حسام قد أضناه التعب والإرهاق، فهم ذلك الأخير أن خالد يدعوه للتركيز، حتى أجابهم ممدوح أخيرًا:

- ولا أي حاجة.. أقصد يعنى ماليش صلة بيه، مابشوفهوش كتير، يعنى إحنا ناس في حالنا شوية تقدر تقول مابنحبش نعمل علاقات كتير مع الناس.

- امم امم فهمت، طيب كان إيه انطباعك عنه؟

فقد الطبيب أعصابه فجأة دون داعٍ، وهتف بحنق:

- قلت لحضرتك إنى مابشوفوش وماليش علاقة بيه، أنا واحد دكتور محترم ومش فاضي لناس زي دي.

أدرك خالد أن هناك ما يوتره ولذلك صلة بالقتيل بشكل أو بآخر؛ فرد بهدوء:

- اهدا يا دكتور يا محترم، احنا بنشوف شغلنا.. إيه قصدك بناس زي دي، كنت شايف القتيل ازاي؟

امتنع الطبيب عن الإجابة؛ فهز خالد رأسه في هدوء متملكًا أعصابه، ثم استأنف:

- آخر مرة شفت القتيل كان امتى؟

- مش فاكر

- امم طيب، قل لي حضرتك كنت فين من الساعة 8 للساعة 9؟

انتصب ممدوح فجأة بعصبية وقال مستهجنًا:

- أفندم؟ هو حضرتك بتحقق معايا ولا إيه؟ متهم أنا مثلا؟

قرأ حسام مؤشرات الخطر في عيني المقدم خالد متنبئًا بانفجاره في مثل هذه اللحظة، لكنه تفاجأ بهدوئه الشديد حين قال ببرود:

- بقولك اهدا يا دكتور للمرة التانية يكون أحسن لك، أظن إن جوابك مالوش أي علاقة بسؤالي، يا ترى حضرتك فيه حاجة عندك مخبيها عننا أو حاجة مش حابب تقولها؟ يعنى مفيش داعى أنبهك إني لو اكتشفتها من حتة تانية مش هيكون في صالحك أبدًا.

اشتاط ممدوح غضبًا، وصاح بانفعال:

- إيه اللي أنت بتقوله ده، أنت مش عارف أنا أبقى مين؟ واحد زى ده انتحر ولا اتقتل هو وش مشاكل ذنبي أنا إيه ادخل في حواراته القذرة دى.

وفجأة حدث ما كان يخشاه حسام وإن كان متأخرًا قليلًا على حد تقديره، فرغ صبر خالد وهتف ساخطًا :

- أنا هنا اللي بوجه الأسئلة ومين ما كنت هتقعد تسمع أسئلتي وتجاوبني عليها، ولآخر مرة هسألك يا دكتور ممدوح هل كان فيه حاجة بينك وبين القتيل؟ نزاع شخصى مثلا؟

- ولآخر مرة هجاوبك لأ.

- طيب قل لي يا دكتور، أنت أو المدام طلبتم أي أوردر النهاردة؟

فكر قليلا وقال:

- أيوا حصل، المدام استلمت أوردر النهاردة.

- هي اللي استلمته ولا البواب طلعه؟

- لا أظن عامل التوصيل هو اللي طلعه لأن البواب وقتها ماكانش موجود.

- كان الساعة كام بالظبط؟

ارتفع بنظره يتذكر قبل أن يجيب بدقة:

- كانت الساعة 7 ونص تقريبا لأني كنت بتفرج على الماتش وقتها.

- تمام تقدر تتفضل لو احتاجناك تانى هنستدعيك.

- تحتاجني في إيه قولت لحضرتك واحد معرفش عنه حاجة...

قاطعه المقدم خالد بحدة:

- اتفضل يا دكتور!

خرج الطبيب ثائرًا بينما زفر خالد متأففًا، يتبادل نظرات الريبة والحيرة مع حسام، ووفد عليهما بعد ذلك شاب في أواخر

العشرينيات يدعى فؤاد أحمد خورشيد، يعمل بقسم خدمة العملاء لدى شركة رائدة في مجال الاتصالات وهو كما سبق وذكرنا أحد الساكنَيْن في الطابق الأول، شرع خالد في إلقاء أسئلته كسابقه:

- ساكن هنا من امتى يا أستاذ فؤاد؟

- من سنة حضرتك.

- إيه اللى تعرفه عن القتيل؟

- مش كتير يعنى سعادتك، معرفتي بيه كانت سطحية، يعنى أقابله على السلم أسلم عليه أو نتكلم في أي حاجة وكده يعنى مش أكتر.

- طيب، كان إيه انطباعك عنه؟

هرش جبينه وانتفض قسمات وجهه في رعدة خفيفة، ثم قال:

- هو كان شاب عادى يعنى حضرتك، بس كان فوتوجرافر هايل الله يرحمه، كنت متصور عنده هنا صور شخصية علشان الـ CV، علاقتي بيه كانت طيبة ومحدودة في نفس الوقت.

- امم طبعا هو بما إن علاقتك بيه محدودة؛ فالسؤال اللي هسأله مش منطقي بس خليني أسأل، تفتكر الأستاذ كمال كان بيمر بحالة اكتئاب؟

سكت فؤاد لحظة يفكر قبل أن يزوده بالإجابة:

- ماقدرش أجزم يا فندم، هو آه كان ساعات بيبان عليه الحزن والشرود بس لو قابلك بيضحك في وشك فما أقدرش أفيد حضرتك في الناحية دي.

- امم طب قل لي آخر مرة شفته فيها كان امتى؟

فكر قليلاً، ثم قال:

- امبارح بالليل حوالى الساعة عشرة، كنت راجع من برة وهو كان خارج أعتقد.

- غريبة! أصل البواب بيقول إنه مابيخرجش بقاله فترة!

زاغ فؤاد ببصره وحمحم قائلًا:

- والله! مش عارف يا فندم بصراحة ماركزتش، جايز كان نازل يستلم طلب من تحت أو بينزل كيس الزبالة.

- امم، جايز بردو(قالها بعدم اقتناع)..كنت فين النهاردة من الساعة 8 للساعة 9؟

- أناا.. كنت برة حضرتك طول اليوم ولسه راجع لقيت التجمع ده هنا طلعت أشوف فيه إيه.

- كنت فين بالتحديد؟

هربت منه ضحكة عصبية وهو يقول:

- والله يا فندم حاسس نفسى متهم بجريمة قتل، هو مش المرحوم بردو مات منتحر ولا فيه حاجة احنا مش عارفينها.

- أرجوك تجاوب على أد السؤال يا أستاذ فؤاد. قالها بلهجة تحذيرية.

- تحت أمرك يا فندم، أنا بخلص الشيفت بتاعى الساعة 5 وبعدها كنت فى عيد ميلاد زميلتي في الشغل وممكن حضرتك تتأكد من ده من الناس اللي كانت معانا وكمان فيه كاميرات مراقبة في الصيدلية اللي قدام العمارة تقدر حضرتك تشوفها وتعرف دخلت وخرجت امتى.

تدخل حسام وقال:

- جارى تفريغ الكاميرات يا فندم.

رد خالد ساخرًا:

- متشكرين على النصيحة يا أستاذ فؤاد، تقدر حضرتك تتفضل.

أومأ فؤاد بإشارة يسيرة من رأسه، ثم خرج وهتف حسام:

- الحمد لله فيه حد عاقل في العمارة دي.

هز خالد رأسه مستنكرًا وقال:

- المرحوم كان محبوب من الكل ما شاء الله.

ضحك حسام ضحكة خفيفة وقال:

- واضح إنه كان مشاكله كتير يا فندم.

اتفق معه خالد ثم سأله متذكرًا:

- صحيح، عملت إيه في حوار الساكن اللي مش موجود ده؟

- بدأت أجمع عنه معلومات، هنوصل له يا فندم ماتقلقش حضرتك.

بعد دقائق دلفت سارة خطيبة المجني عليه، بالكاد تجر قدميها وغارقٌ وجهها بالدموع السوداء، خامرهم شعور باليأس من إمكانية الحصول على معلومات منها وهي بتلك الحالة المزرية، لكن خالد لم يضيع الوقت وأردف مخيبًا ظن مساعده الذي توقع أنه سيمهلها من الوقت للغد:

- إحنا عارفين طبعا إن الوضع صعب، الأول خلينا نعزيكى البقاء لله.

لم يحصل منها على رد سوى منهل الدموع التي انهمرت من مقلتيها، التفت خالد إلى حسام فهز الأخير رأسه في يأس، لكن عاد خالد مستأنفًا حديثه:

- آنسة سارة أنا عارف إننا بنضغط عليكِ بس أرجوكِ استحملينا ماقدمناش حل تاني.

بدا وكأنها بعالم آخر لم تستحل أنظارها عن الأرض التي أغرقتها بعبَراتها، لكنه ومع ذلك لم يتوقف عن حديثه:

- اللي واضح قدامنا إن خطيبك كان بياخد أدوية اكتئاب وإن الحالة وصلت معاه إنه انتحر وشنق نفسه، إيه رأيك فى الكلام ده.

ولأول مرة خرجت عن صمتها وهدمت جدران الصدمة كي تصدمهما هما:

- ما انتحرش!

- أفندم! نطق بها حسام تلقائيًا.

ردت وقد غلبتها الدموع مرة أخرى؛ فمسحتها وحاولت إخراج صوتها المحشرج:

- بقول لحضرتك ما انتحرش.. كمال.. كمال كان بيحب الحياة وبيحبني، كنا بنجهز لجوازنا فاهم يعنى إيه؟! كمال كان فوتوجرافر معروف وناجح.. عارف، عارف كان إيه سبب شغفه بالشغلانة دى؟! كان بيقول لي لأن الناس اللي بتجيلى أو أنا بروحلهم علشان سيشن تصوير بيكون الوقت ده أسعد أوقاتهم، كان بيحب يشوف فرح الناس حتى لو على حسابه حتى لو هو عنده مشاكل الكون كان بيضحك في وش الناس، كان.. كان بيقول لي أنا مابكرهش في حياتي قد الطاقة السلبية

علشان كده اخترت شغلانة كل أوقاتها سعادة.. تفتكر حضرتك واحد زي ده ممكن ينتحر ليه؟

وفي تلك اللحظة ابتسم خالد خفية، وكال نظرة شماتة إلى حسام الذي كان وبرغم كل شيء يرجح أنه انتحر وأن خالد يبحث عن المصاعب، وكأنه يرفض أن توضع بين يديه قضية سلسة واضحة أو ربما اعتاد هو على الغموض الذي جعله لا يرى الأمور السهلة ويظن أن خلفها خبايا عليه اكتشافها، هكذا كان يفكر حسام والذي انبرى متسائلاً:

- طب وأدوية الاكتئاب اللي لقيناها في أوضة نومه؟

مسحت دموعها واستأذنت تشرب قدرًا من المياه؛ فناولها حسام الكوب، وبعدما جرعته وأخذت نفسها، قالت:

- كمال فعلا كان بياخدها في فترة بس الكلام ده كان من سنة تقريبًا، في بداية تعارفنا، وقتها كان عمه ظهر في حياته من جديد وعمل معاه مشاكل كتير علشان ياخد نصيب أبوه في بيتهم بتاع البلد ، في الأساس حياة كمال ماكنتش كويسة خالص الحقيقة.. أهله ماتوا وهو صغير وعمه اللي رباه عنده ودوقه من العذاب ألوان، وكان وصي على ورثه لحد ما يكبر، حصل مشاكل كتير؛ فتعب نفسيًا وراح لدكتور نفسى اداله الأدوية دى بناءً على رغبته لكن كان بينصحه يبعد عنها وإنه مش محتاجها، وأنا فضلت معاه لحد ما خرج من الحالة دي ووقف الأدوية وبعدها اتخطبنا على طول.

سكت خالد للحظة، ثم سألها:

- أفهم من كده إنك بترجحي إنه اتقتل؟!

انهارت قوتها اللحظية، وهزت رأسها أنه نعم؛ فقال:

- طب ولو فرضنا انه اتقتل، تتهمي مين بقتله؟

رفعت كتفها بحيرة وقالت:

- معرفش.. يمكن عمه.. فعلاً مش عارفة.

قال حسام مستفهمًا:

- يعنى أستاذ كمال ماكنش له أي أعداء غير عمه؟

فكرت شوية، وبعدها قالت:

- ماعتقدش، كمال كان شخص مسالم جدًا، صحيح كان بيبان غريب لبعض الناس خاصة الناس اللي ماتعرفوش كويس، لكنه إنسان طيب وبيحب الناس.

- غريب إزاي يعنى؟ تساءل خالد.

- يعنى مرح دايما، ممكن يهزر في أوقات غلط، اللي بيجي على باله ولسانه بيقوله وطبعا مش كل الناس بتحب كده.

- امم امم، طيب هو ساكن هنا من امتى؟

- من سنة.

- متأكدة؟

- أيوا، أنا اللي جبت له الشقة دي، في الأساس كنت أنا وأحمد أصحاب وهو وكمال كمان أصحاب، وفى يوم أحمد عرفني عليه وبدأنا نتكلم وعرفت إنه بيدور على شقة ولأن زميلتي تبقى بنت صاحب العمارة طلبت منها تسكِّنه وكان بالفعل الشقة دي معروضة للإيجار .

- على سيرة الأستاذ أحمد، كان علاقته بحازم عاملة إزاي ؟

- هما أصحاب من زمان جدًا، لأنهم من نفس البلد قبل ما ينزلوا القاهرة، يعنى أنا أقدر أتخيل حزنه عليه عامل إزاي خاصة إن بقالهم فترة مابيتكلموش و.. ومات وهما متخاصمين.

استرعت عبارتها الأخيرة انتباه خالد وحسام أيضًا؛ فسألها الأول مقطبًا جبينه:

- ليه إيه اللى حصل بينهم؟

قلبت شفتيها بحيرة، وقالت:

- مش عارفة كمال ماكنش راضي يتكلم فى الموضوع ولما كنت بسأل أحمد كان بيقول لي اسألي خطيبك.

- طب حضرتي أي خناقة بينهم؟

- مرة واحدة بس، كنا في مركب (لو باشا 1901) أحمد قام سابنا فـ كمال طلع وراه، وفجأة سمعناهم بيتخانقوا وأصحابنا كانوا بيحوشوا بينهم.

- طب ماسمعتيش أي كلام دار بينهم.

تغضن جبينها تستذكر الأحداث وابتلعت ريقها بألم وصعوبة قائلة:

- لا.. يعني طراطيش كلام، كان كمال بيقول له "افهمني الموضوع مش زي ما أنت فاهم" وأحمد تقريبا كان بيزعق ويقول له "أنت كده دايما بتسرق الحاجة اللي مش بتاعتك وتتحرق الناس المهم نفسك" مافهمتش كان بيقول له كده ليه، ولما سألت كمال اتعصب يومها وقفلنا الموضوع.

- فهمت، طب حضرتك ممكن تقولي لي هل كان بيحكي لك مثلاً عن أي مشاكل بينه وبين حد من الجيران؟

ردت تلقائيا:

- زي ما قلت لحضرتك مش كتير من الناس بترتاح معاه.

- ياريت تكونى دقيقة أكتر تقصدي إيه ومين؟

- صاحب العمارة ماكنش بيحبه أبداً وكان على طول بيتخانق معاه وهدده أنه يطرده، أعتقد لو كان عقد السنة دى اكتمل ماكنش هيجدده.

- طب وإيه سبب الخلاف بينهم.

- معرفش.

- تمام يا آنسة سارة أنا مش هضغط عليكِ أكتر من كده بس متأكدة إن مفيش أي حاجة تانية ممكن تقوليها لنا، أي معلومة ولو صغيرة ممكن تنفعنا علشان نقدر نجيب حق خطيبك.

هزت رأسها بوهن؛ فاستطرد:

- تقدري تتفضلي يا آنسة سارة ولو افتكرتي أي حاجة ياريت تعرفينا على طول.

أومأت بالموافقة ثم خرجت، وقبل أن يدخل أحمد دخل الخبير ومعه تقرير البصمات.

أخذه خالد بحماس وفتحه وشرع يتمحصه، لاحظ حسام ابتسامة ظفر ترتسم على وجهه بشكل مريب وفجأة طرق على الورق بسبابته وقال:

- ما انتحرش يا حسام.

"آاه كده مافيهاش نوم لشهر كمان" هكذا قال حسام في نفسه وكاد يقتله فضوله، حملق به في اهتمام، وسأله:

- إزاى يافندم؟

أشعل خالد سيجارة أخرى، وقال له:

- خد عندك يا سيدى، رقم واحد الحبل اللي اتشنق بيه ماعليهوش أي بصمات وطبعا ده مستحيل مع واحد منتحر جاب حبل ولفه وربطه في المروحة..

- مفهوم طبعا يا فندم وإيه تانى؟

- الكرسي اللي المفروض كان واقف عليه وهو بيشنق نفسه ماعليهوش أى بصمات ولا من إيده على ضهر الكرسي ولا من رجله على قاعدة الكرسي.

- ااه وطبعًا مستحيل يكون الكرسي اتنقل لوحده أو يكون طلع ينتحر وهو لابس حاجة ف رجله مثلا.. طب وبصمات اللاب توب يا فندم.

- أهى دى الوحيدة اللي بصماته.

- بس كده يا فندم ده معناه ان هو اللي كتب الرسالة!

- مش شرط يا حسام، سهل جدا القاتل يمسك إيده ويطبع بصماته على الكيبورد.

- طب يا فندم مفيش أي بصمات غريبة في البيت؟

- مفيش غير بصمات المجنى عليه والبواب بصماته على الباب.. كده بقا منتظرين تشريح الجثة ولو إني عارف إنه مش هيفيدنا بحاجة.

- بصراحة، مش متفائل.

- قنبلة تفاؤل يا عم حسام.. أنا معاك الموضوع صعب بس واحدة واحدة، خد راحتك في الكلام مع اللي يعرفوه وهيجي لنا القاتل لحد عندنا.

- بس فيه حاجة يا فندم.. معنى كده إن القاتل زار كمال وماكنش مديله خوانة بدليل مفيش أي آثار عنف أو هجوم

وحاجة كمان إزاي رفعه وشنقه والقتيل ماعملش أي ردة فعل ولا فيه أي أثر على دفاعه عن نفسه.

- أمر محير فعلًا بس على الأقل بيحصر الشك في مجموعة معينة وهما المقربين منه لأنه كان بيرفض استقبال زباين على حد كلام البواب.

في تلك الأثناء، سمعا صوت ترحاب وتحية عسكرية فتكهن خالد أن المحقق الجنائي قد وصل أخيرًا وبالفعل انضم إليهما وكيل النيابة "شريف عزام" وكان شابًا ذا ملامح تتسم بالجدية، كالتي تضفيها عليه بدلته السوداء، خطا نحوهما وصافحهما محييًا:

- شريف باشا حمدًا لله على السلامة! قالها خالد بودٍ؛ فرد شريف باسمًا:

- معلش يا جماعة بعتذر على التأخير، الطريق كان زحمة فوق الوصف، ها إيه الأوضاع؟

قص عليه خالد الأمر برمته ابتداءً من وصولهما وحتى وصوله هو، اطَّلع على تقرير البصمات، ثم قال:

- هايل، يعني كده فاضل استجواب المدعو أحمد، واللي واضح قدامنا دلوقتي عداوته المباشرة مع القتيل.

- بالظبط يا شريف بيه.

- تمام يا خالد بيه، اتفضل كمل شغلك.

بعد قليل، سمحوا لأحمد بالدخول، وكان شابًا في الثلاثين من عمره، وعلى قدر كاف من الوسامة والمظهر الأنيق، يعمل مندوب مبيعات بشركة أدوية شهيرة، بيد لهم أنه متوتر، يفرك يديه ويطالعهم بنصف عين، بغض النظر عن انهياره وصدمته التي ظهرت بشكل مبالغ فيه إلى حد ما، شرع خالد يسأله بنبرة أكثر حدة من تلك التي تحدث بها مع سابقيه:

- قل لي يا أستاذ أحمد تعرف القتيل من امتى؟ وإيه كل اللي تعرفه عنه وعن علاقاته؟

حمحم أحمد مرتبكًا، وقال:

- أنا أعرف كمال من زمان وإحنا صغيرين لكن علاقتنا قويت أكتر من 10 سنين، كان معايا في الجامعة في كلية تجارة، كمال الله يرحمه كان شخص انطوائي جايز يبقى معارفه كتير بحكم شغله لكن كان بيكره يقوي علاقاته مع الناس، حضرتك

عارف العلاقات التزامات وبيحصل فيها مشاكل وهو ماكنش ناقص، لأن حياته كلها كانت مشاكل مع عيلته.

- تقصد عمه؟

- بالظبط كده حضرتك.

- اتفضل كمل.

- كمال كان.. يعني قبل ما يخطب..كان بتاع بنات وكده، أنا اللي عرَّفته على سارة و.. وبعد كده اتخطبوا.

استصعب قول كلماته الأخيرة؛ فتفهم خالد ثم ألقى له بسؤال آخر كما سأله لسارة من قبل:

- ماتعرفش إذا كان كمال له أعداء في العمارة هنا.

- تقريبا مفيش حد كان بيحبه هنا غير جاره اللي تحته اا...

بادر حسام إلى نجدته قائلاً:

- تقصد فؤاد؟

- أيوا، هو فؤاد.. وكمان جاره اللى اسمه عز ده شخصية غريبة بس ماكنش بيعمل معاه مشاكل.

- أفهم من كده إن علاقته سيئة بصاحب البيت والدكتور ممدوح؟

- أيوا.

- ليه؟

- لأن صاحب البيت عايز الكل يمشى على هواه أو بمعنى أصح عاداته وتقاليده ، وكمال ماكانش شخص ملتزم يعنى.. مثلا كانت خطيبته بتروح له البيت وهو ماكانش بيحب الوضع ده أو لما يجيله زباين ستات علشان سيشن تصوير، أما الدكتور ممدوح ده بقا راجل عنده هوس..

- تقصد إيه؟

- راجل الغيرة عامياه يا فندم عنده هوس بمراته، كذا مرة يشد مع كمال ويتهمه إنه بيبص لمراته بصات مش كويسة وفى أول مقابلة ليهم كمال كان بيجاملهم وقال لهم لازم اعمل لكم سيشن تصوير وخاصة إن المدام وشها سينيمائي ومن ساعتها، وهو شايل منه وبيتلكك له وحصلت مرة وأنا معاه كنا طالعين على السلم بسرعة ومش واخدين بالنا فخبطنا فيها اتكعبلت وكمال حاول يفاديها بس اتكعبل هو كمان وقع معاها وهو..

- وهو إيه؟

- يعنى كان يعتبر حاضنها بس في الأصل هو اللي كان تحتها وخد كل الكدمات بدلها، جوزها كان طالع في الوقت ده وشافهم حاولت أفهِّمه بس هو نزل ضرب في كمال زي المجنون.

تبادلوا نظرات الشك والتساؤلات عينها، لماذا لم يذكر الدكتور ممدوح تلك الملابسات عند استجوابه ونفى نشوب أي عداء بينه وبين القتيل.. ران الصمت لحظات قبل أن يردف خالد:

- طيب عرفنا كده إنك كنت صاحب كمال الوحيد لكن عرفنا بردو إنك مقاطعه من شهور ممكن أعرف السبب.

تجلى ارتباكه على ملامحه وزاغ بعينيه بعيدًا وهرب الدم من وجهه، بلل شفتيه الجافتين وبلع ريقه بصعوبة ولم ينبس بحرف؛ فقال خالد:

- أظن مش هتخلينا نستنى كتير.

انحلت عقدة لسانه أخيرًا، وقال:

- أنا.. إحنا، يعنى عادي خناقات الصحاب مش حاجة كبيرة، بس أنا عنيد وهو كمان دماغه نشفة علشان كده ساعات بتطول خناقاتنا.. بس.

- امم أظن دي مش إجابة، بس خليها عندي دي المرة دى، هقول لك أنا اتخانقتوا ليه.. اتخانقتوا علشان أنت بتحب خطيبة صاحبك، قبل ماتبقى خطيبته يعنى ماتفهمش غلط لكن بمجرد ما عرفته عليها خدها منك وعلشان كده قلت له أنت كده دايما بتاخد الحاجات اللي مش بتاعتك.

انتصب أحمد باندفاع، وقال بانفعال:

- لا لا لا ماحصلش، الكلام ده غلط، حضرتك عارف كلام زي ده ممكن يخليها تفكر إزاي عنى؟!

بدل خالد نظره بين شريف وحسام وضحك ضحكة خفيفة مما زاد ارتباكه؛ فقال له خالد :

- كل اللي بتفكر فيه هو إنها تفكر إزاي عنك، لا هو الأفضل تكون صريح معايا يا إما..

- يا إما إيه؟ تساءل تلقائيا باضطراب.

- يا إما هتبقى أنت المشتبه الوحيد فيه في القضية.

- قضية! قضية إيه سعادتك.

- قتل صاحبك.

وقع قاعدًا في مكانه جراء الصدمة، بيد أنه مصدوم بحق إما أنه ممثل بارع، وبعد ثوانٍ قال:

- قتل! هو مش مات منتحر؟

- ده اللي كان القاتل عايزنا نشوفه، لكن نقول إيه بقا حظه وحش.

تفاجأوا به يضرب وجهه بطريقة هيستريه وهو يردد "اتقتل.. كمال اتقتل.. اتقتل.. أنا السبب أنا السبب "

تبادلوا النظرات بتعجب وانتباه وكل علامات الاستفهام بادية في أعينهم؛ فسأله المقدم خالد:

- يعنى إيه بقا أنت السبب.

رد ومازال تحت تأثير الصدمة:

- أنا السبب لو كنت سمعته ماكنش مات ماكنش اتقتل أنا السبب.

قال له شريف بهدوء:

- أستاذ أحمد ياريت تحاول تهدا وتفهمنا.

فجأة سمعوا صوت صراخ وتكسير وفوضى ودخل العسكري قائلاً:

- الحق يا فندم خطيبة المجني عليه منهارة وبتكسر في الشقة.

خرجوا سريعًا وعمد أحمد إلى تقييدها وتهدئتها حتى سكنت فرائصها، واستأذن الضباط في الرحيل، فأذن له شريف شريطة ألا يغير عنوانه ويلبي النداء وقتما استدعوه وأقر موافقًا بذلك.

استمر المقدم خالد ووكيل النيابة شريف يتناقشان فيما بينهما، يرجحان احتمالات ويستبعدان أخرى، حينما وفد عليهما حسام تبدو على وجهه أمارات الخيبة وعدم التوفيق؛ فبادر خالد:

- إيه يا حسام عملت إيه؟ فرغت كاميرات المراقبة؟

- للأسف يا فندم، كاميرات المراقبة عطلانة من مدة وصاحب الصيدلية سايبها للترهيب مش أكتر.

زم فمه حنقًا، ثم قال:

- طب وعز؟

- لسه ماوصلتلوش يا فندم، ومعندناش أي معلومة تخصه نعرف منها مين هو علشان نقدر نتحرى عنه.

- طب إيه وصاحب العمارة مافادناش بحاجة؟ تساءل شريف.

- للأسف يا شريف بيه مايعرفش عنه أكتر من اسمه ومهنته.

وقفوا ثلاثتهم وقد شتت أذهانهم في مرحلة التفكير، بعد الانتهاء من مرحلة جمع المعلومات والإلمام بجوانب القضية وطرح سؤال واحد لا ثاني له "من القاتل؟"

إلا أن ذلك التساؤل لم تنغلق عليه الأذهان فقط؛ فقال شريف:

- ها يا جماعة إيه انطباعكم عن الجريمة؟

رد حسام بتفكير:

- والله يا فندم من الواضح إن أعداء المجني عليه كتير لكن في نفس الوقت دي كلها مش عداءات توصل لقتل وجريمة مدبرة بالشكل ده.

- ماتنساش إن عمه له مصلحة في موته، وكمان صاحبه أحمد، ولا أنت إيه رأيك يا خالد؟

رد خالد بروية:

- والله يا شريف السؤال ده لسه بدري على إجابته، محتاجين الأول نتحرى عن عمه وصاحبه والخناقة اللي اتخانقوها، بالإضافة للأستاذ عز المختفي، مانعرفش هو فين دلوقتي وراجع تاني ولا لأ، ده إحنا حتى مش عارفين هويته لحد دلوقتي.

- أنا فاهم طبعا، بس أقصد حدسك بيقول إيه (ضحك ضحكة قصيرة) أنا عارف مفيش مرة شكيت في حد وخيب ظنك.

ضحك خالد بخفة، ثم أطرق برأسه قليلا وقال:

- شوف يا سيدي، حتى الآن لو شكي كان في محله فالدنيا هتتعقد أكتر لكن خلوني أفكر معاكم بصوت عالي ونحلل المعطيات وشخصيات الناس اللي استجوبناهم لحد دلوقتي، ونبدأ بشكل الجريمة:

هنا القاتل كان على دراية كاملة بشقة المجني عليه وتفاصيلها، كمان عارف أدق التفاصيل عن كمال زي مرضه بالاكتئاب، وإنه لو مات منتحر محدش هيشك إنه مش انتحار، تاني نقطة بقا وهي كمال كان ليه خايف ومضطرب الأيام اللي فاتت؟ إلا

إذا كان بيتعرض لتهديد وهنا ده يأكد لنا إن اللي قتله هو شخص مقرب منه لأنه اطمن له ودخله.

استنتج شريف:

- وبناءً عليه دايرة الشك بتنحصر أكتر في خطيبته وصاحبه وسكان العمارة.

- بنسبة 90٪ آه.

- طب يا فندم بالنسبة للشخص الغريب اللي دخل العمارة وقت ما كان البواب في الصيدلية؟

- ده بقا عليه علامات استفهام كتيرة، إما إنه كان عامل توصيل طلبات اللي وصل أوردر لمرات الدكتور ممدوح - على حد قوله- ودخل وخرج من غير ما يصادف البواب، إما إنه يكون هو نفسه القاتل!

- طب والناس اللي استجوبناهم، ما ارتابتش في حد فيهم؟

- ما تستعجلش يا شريف بيه، أنا في الوقت الحالي بجمع الأدلة والمعلومات عنهم لسه شوية على مرحلة الاستنتاج خلينا مثلا نبدأ من عند صاحب العمارة: ده راجل محترم، حنبلي شوية، مايحبش الحال المايل وده طبيعي لواحد كان مدير مدرسة لسنين طويلة، دقيق ومنظم وده واضح من تفاصيل شقته، قادر جسديًا على ارتكاب جريمة زي دي لكن في نفس الوقت غير

قادر نفسيًا على ارتكابها لأنه شخص صاحب ضمير، ده غير إنه ماعندوش الدافع لـ ده.

أما الدكتور ممدوح: شخصية عصبية وده طبيعي بردو بالنسبة لطبيب جراح، أعصابه دايما على المحك، غيور بشكل مفرط وده ممكن يخليه يرتكب جريمة في أي وقت يستدعي ده، لكن وقتها أعتقد هتكون جريمته وليدة اللحظة، ومع ذلك لسه فيه علامات استفهام حواليه هتوضح أكتر مع التحري عنه وبعد تشريح الجثة.

نيجي بقا للأستاذ فؤاد: وده على قد ما هو إنسان بسيط لكن إحساسي بيقول إنه وراه حاجة..

- تقصد إيه بالظبط يا خالد؟

- يعني من ناحية هو عنده ثبات انفعالي واضح لكن مع ذلك في إجاباته وعلى قد ما هي ثابتة وظاهر فيها صدقه إنما كان بيقولها كأنه حافظها كمان ضحكته العصبية الغير مبررة وقت استجوابه بتوضح لي ضغط أعصابه، ده غير ترددده لما قال إنه شاف كمال بالليل وواجهته بأقوال البواب إن كمال ماخرجش الأيام اللي فاتت ده أكد لي إنه ماشفش كمال امبارح زي ما قال.

- تفتكر له يد في قتل كمال؟

- كل شيء وارد، لكن ده هيتوقف على الدافع والتأكد من حجة غيابه وقت وقوع الجريمة.

- طب وأحمد؟

- أحمد بقا هو أكتر حد عنده دافع ارتكاب الجريمة والقدرة الجسدية والنفسية، مفيش حد شاهد إنه ماخرجش من بيته وقت وقوع الجريمة، بالإضافة إنه مش غريب ومن الطبيعي كمال يدخله بيته عادي ويديله الأمان ومع ذلك مفيش دليل يؤكد ارتكابه للجريمة، ربما نكتشفه الأيام الجاية.

- امم طب وخطيبته يا فندم؟ سأله حسام.

سارة: ماعندهاش دافع لقتله إلا إذا كان الله يرحمه بيلعب بديله زي ما كان صاحب العمارة والدكتور ممدوح معتقدين، لكن مع ذلك هي شخصية ضعيفة ومهتزة، أعصابها أقل من تحملها لارتكاب جريمة بشعة زي دي، كمان علشان تخنق المجني عليه وبعدين ترفعه وتعلقه ده بيتناقض مع قوتها الجسمانية.

تحرك شريف بضع خطوات مطرقًا بتفكر، يربت بقلم على كفه، ثم قال:

- تحليل منطقي يا خالد، تمام استمروا في تحرياتكم عنهم كلهم و خاصة أحمد وعز وعمه.

- الأهم من كده يا شريف هو التحري عن ماضي كمال.. هو ده اللي هيوصلنا للقاتل أيًا كان هو مين!

أوغل الليل في ظلمته، وانتهت تحرياتهم لذلك اليوم بهذا القدر واعتزموا مغادرة مسرح الجريمة بعد غلقه، تعجب خالد في نفسه أثناء نزوله الدرج من توافد أسراب من إناث الذباب، تتبارين في الوصول إلى الجثة لوضع بيضهن، لكن لسوء حظهم قد تم نقل الجثة ومغادرتها المكان وسينبغي عليهن الحصول على جثة أخرى!

عادت سارة إلى منزلها تكاد تكون فاقدة الوعي رغم عينيها المفتوحتين وقلما رمشتهما، أنزلها أحمد من سيارته يدثر جسدها المرتجف بسترته، الظلام مقبض ومخيف وإن توغلته إنارة الأعمدة الكهربية، أسندها وسارت معه على غير نُهى وصعدا إلى شقتها في الطابق الثاني حيثما امرأة أربعينية جميلة تذرع الشقة ذهابًا وإيابًا تضرب إحدى قبضتيها في راحتها الأخرى بتوتر، تزفر بين الحين والآخر بقلق علني، جلست إلى أحد المقاعد تفرك جبهتها داعية الله أن تأتي العواقب خيرًا، وما لبثت أن نهضت من جلستها إذ قُرع الباب، هرعت وفتحته ليتراءى لها وجه سارة الشاحب شحوب الموتى، أدخلتها وهي تمسك بطرفها ومن خلفها أحمد، هاتفة بذعر:

- فيه إيه؟ وشك أصفر كده ايه و.. أحمد هي مالها إيه اللي حصل؟ اتخانقني مع كمال؟ هاه؟ ساكتين ليه ما حد يرد عليَّ.

- اهدي اهدي يا مدام چيلان، ممكن بس تدخلي سارة ترتاح وبعدين نتكلم؟

لم تمهلهما سارة ليحدث ذلك؛ فتمتمت ببعض الكلمات التي لم تفهمها جيلان:

- ما.. مات.. راح.. وسابني..

تغضن جبين جيلان في محاولة إدراك ما تقوله فبادلها أحمد بنظرة شفقة وهو يهمس لها بأن كمال قد لقي حتفه؛ فشهقت بفزع تخبئ فيها المفتوح من الصدمة خلف يدها حالما أخرجها من صدمتها صدمة أخرى إذ شرعت سارة في الصراخ الهستيري بأعصاب منهارة، ومن ثمَّ سقطت مغشيًا عليها؛ فلحقها أحمد قبل أن يرتطم رأسها بالأرض وحملها إلى غرفتها، بينما اتصلت جيلان بالطبيب.

چيلان تلك السيدة الحسناء ممشوقة القد، ذات الشامة على الوجنة اليسرى أعلى شفتيها الممتلئتين، تضفي أمواج خصلاتها القصيرة على وجهها النحيف قوة امرأة ناضجة مكتملة الأنوثة، وهي تكون لسارة زوجة أبيها ولأنها رغم كل ما تمتاز به من مقومات أنوثية لم يُقَدَّر لها الإنجاب؛ فصبَّت جام اهتمامها على سارة وكانت لها الأم الحانية والصديقة

المقربة إذ كان فارق السن بينهما ليس كبيرًا، أما عن زوجها والد سارة فهو يعمل في الكويت مدرس لغة عربية وينزل إجازة بين الحين والآخر وفي أحيان أخرى تسافران هما.

يجلس أحمد في سيارته أمام منزل سارة قبل مغادرته، يطرق باب ذاكرته ذلك الموقف في مثل تلك الليلة منذ سنة بالتمام والكمال حينما كان عائدًا من عمله كالمعتاد من مدينة الشيخ زايد، الساعة قاربت على منتصف الليل حين داهمته فتاة تقف على مرمى بصره وتشير له بيديها الاثنتين مستنجدة. توقف ليتحرى الأمر وكانت سارة تقف بجانبها حقيبتين كبيرتين وتعلق على صدرها كاميرا، بينما تنعكس إضاءة أحد المصابيح الليلية على بشرتها الغضة اللامعة وشعرها الكستنائي قبل أن تصبغه بالأشقر، كانت رائعة الحسن وتتمتع بإطلالة بهية، لمعت عيناه وهو ينزل من سيارته متسائلًا:

- إيه يا آنسة خير، فيه مشكلة معاكي ولا إيه؟

استصعبته بنظرتها التي أخبرته أنه نجدتها من السماء وقالت:

- آه للأسف كنت بصور سيشن هنا في كابيتال بارك لكوليكشن الفاشون بتاعي بس الوقت سرقنا من غير ما ناخد بالنا، والموديل استأذنت ومشيت مع خطيبها وأنا بقيت لوحدي ومفيش أي تاكسي عدا لحد دلوقتي وموبايلي فصل شحن مش عارفة أطلب عربية حتى، فلو ممكن تليفونك أكلم البيت ييجوا ياخدوني!

افترَّ عن ثغره ضحكة صغيرة لاسترسالها السريع بمعدل عشر كلمات في الثانية الواحدة، مدَّ لها يده بهاتفه؛ فشكرته وكانت على وشك الاتصال حالما عاد لوعيه وتذكر القليل من اللباقة؛ فأردف:

- طب أنا ممكن أوصلك، يعني لو ماعندكيش مانع؟

بدلت نظراتها بينه وبين السيارة بتردد، وقالت بابتسامة خجولة:

- لا مش عايزة أتعبك...

قاطعها باصرار:

- لا طبعا مفيش تعب ولا حاجة أكيد مش هسيبك لوحدك هنا، اتفضلي!

زيَّن ثغرها ابتسامة رقيقة وشكرته ثم لفت حول السيارة لتركب ووضع هو أغراضها في المقعد الخلفي، ثم هاتفت المنزل لتطمينهم بينما أدار هو محرك السيارة وانطلق بها متسائلًا:

- أنتِ ساكنة فين؟

- في المهندسين.

- بجد! طب كويس في طريقي أنا ساكن في الدقي.

- انا آسفة فعلا وشكرًا مرة تانية يا أستاذ..

- أحمد. مفيش داعي للشكر أي حد في مكاني كان هيعمل كده.

- اتشرفت بمعرفتك وأنا سارة.

- الشرف ليا يا آنسة سارة.. ثم نظر إلى الكاميرا المعلقة على صدرها وتابع:

- قولتيلي بقا كنتِ بتصوري، هو أنتِ فوتوجرافر؟

أرسلت ضحكة قصيرة مستنكرة:

- لا أنا مصممة أزياء، بس بعمل سيشن التصوير للكوليكشن بنفسي لأن أسعار الفوتوجرافرز بتكون غالية وأنا لسه في بداية طريقي، مع العلم إني مش مصورة بروفيشنال بس أهو بحاول مع الـ editing أطلع صور مقبولة.

ابتسم وبعد لحظة قال:

- آه صحيح أنا ليا صديق فوتوجرافر هو مش مجرد صديق هو صاحب عمري وشهادتي فيه مجروحة بس هو فعلًا موهوب لو حبيتي أكلمهُ لك، هو كمان في بداية طريقه ومش بيطلب مبالغ عالية.

تهللت أساريرها وهتفت بسعادة:

- بجد! ياريت والله، هتكون خدمتني جدًا ورفعت عني حمل كبير.

- خلاص بسيطة عندي دي.

تبادلا ابتسامات الحبور.. ومن ثم بترت ذاكرته حبل الاستذكار؛ فنزلت دمعة ملهبة على خده، وانطلق بسيارته من أمام منزلها تحركه عواصف الغضب غير مبالي بالمطر الذي ينهال على سيارته حاجبًا الرؤية.

" تجوب الكذبة نصف العالم إلى أن تلبس الحقيقة حذائها"

مارك توين

2

أشرقت الشمس مفترشة قلب السماء، مبددة ظلام الليل وخباياه، وبدأ يوم حافل بالأحداث مليء بالحركة من جديد. استيقظ خالد على صوت رنين هاتفه الذي لا يكل من الاتصالات آناء الليل وأطراف النهار، بينما كانت المربية تحضِّر حقيبة ولده للمدرسة، نهض مسرعًا محاولًا فتح جفنيه؛ فأكثر ما يثير فزعه هو رنين الهاتف أثناء نومه إذ كانت معظم مصائب حياته مرتبطة بهذه الظاهرة، فرك عينيه وهز رأسه ليستفيق، يرمق شاشة هاتفه الماثل بيده بعينين نصف مغمضتين حتى تراءى له اسم المتصل؛ فأخذ نفسًا مهدئًا، ثم أجابه:

- أيوا يا حسام.... أهو صباح، فيه إيه مايستناش لحد ما آجي؟.... إيه لقيتوه؟ ازاي وفين؟... طيب طيب أنا جاي حالًا.

وثب من فراشه مسرعًا يجدُّ في استعداده للخروج، بينما سمع طرقات أنثوية على باب غرفته؛ فأيقن أنها بالتأكيد ليست عفاف المربية لكنه تكهن كينونتها؛ فسمح لها بالدخول؛ فدلفت قائلة ببشاشة:

- صباح الخير يا خالد.

- صباح النور يا هويدا.. لو تعرفي أنا مديون لك ازاي إنك هتودي زين مدرسته النهاردة! طلع لي شغل ضروري ومش عارف كنت هعمل معاه إيه.

ضحكت برقة، وقالت وهي تؤدي التحية العسكرية بهزر:

- إحنا في الخدمة يا فندم..

ضحك على دعابتها كما العادة، ومع ذلك انتظر لحظة خروجها من الغرفة كي يبدل ملابسه إلا أنها لم تفعل؛ فتعجب:

- فيه حاجة عايزة تقوليها يا هويدا؟

شبكت أصابعها أمامها بارتباك قائلة:

- بصراحة آه، كنت حابة إن زين يقضي معانا يومين.

ازدادت ملامحه تعجبًا وقال:

- بس كده، تمام مفيش مشكلة.

- لا فيه مشكلة.

- خير يا هويدا، قولي على طول ماعنديش وقت. أطلق كلماته مشيرًا إلى الساعة بصبر نافد؛ فردَّت:

- طيب طيب، يعني أنت عارف زين متعلق بيك قد إيه ومش بيرضى يبات عندنا غير لو كنت معاه.

- انسي، أنا مش فاضي اليومين دول نهائي.

- بس..

- انسي! قالها بنبرة قاطعة؛ فخرجت متذمرة تدمدم ببعض كلمات الغضب كالأطفال؛ فضحك رغمًا عنه واستأنف استعداده للخروج. هويدا هي الأخت الصغرى والوحيدة لزوجته المتوفاة قبل خمس سنوات، شديدة التعلق بابنه زين إذ ترى أنه أغلى ما تبقى لها من أختها التي فقدتها في ريعان شبابها، وتُعاون خالد على الاهتمام به، شابة مرحة في مقتبل العشرينيات ذو شخصية تتمتع بالدلال الأنثوي والبساطة أيضًا، أما عن خالد فعلاقته بها أضحت وثيقة واعتاد على وجودها كأخت صغرى له كما كانت لزوجته حتى إنه اعتبر مشورات البعض بالزواج منها محض سخف وجنون. بالطبع لم يعارض فكرة الزواج مرة ثانية ولم يدَّع المثالية والوفاء الخالص، بل وأقدم على الأمر بإصرار من أهله وأصدقائه، فإن لم يكن من أجله فمن أجل أن يتربى ابنه في مناخ مستقر إلا أنه مع ذلك حاول أن يخطب أكثر من مرة ولم يوفَّق في الأمر، وأرجع ذلك إلى أن شعوره بالذنب تجاه موت زوجته يسيطر عليه حالما يعتبر نفسه المسئول الأول عن موتها ليلة أن اتصلت به لتطلب منه أن يمر عليها ليأخذها من عملها حيث كانت تشعر ببعض التعب، لكنه اعتبر ذلك دلالًا مفرطًا وقد كان غارقًا في حل إحدى الجرائم كالمعتاد؛ فكان قدرها أن يشتد تعبها أثناء

قيادتها للسيارة وراحت ضحية حادث سير على الطريق الدائري، وكلما تذكر الأمر ينكأ جراحه التي لا تندمل بلا شفقة؛ فهو لا يريد أن يحزن روحها التي فقدتها أيضًا.

****

وصل المقدم خالد عمارة القتيل مرة أخرى وقد اصطف أسفلها سيارات الشرطة وفريق البحث الجنائي ووكيل النيابة، صعد الدرج إلى الطابق الثاني ليكون المشهد مطابقًا لليلة السابقة لكن هذه المرة في الطابق أدناه، أما في تلك اللحظة يتراءى له شاب على مشارف الثلاثينيات مسجي على الأرض بعد عتبة بيته بإنشات قليلة غارقًا في بركة من الدماء المتخثرة إثر عدد ثلاث طعنات في أماكن متفرقة من بطنه وقلبه، ذو بشرة استحال لونها إلى الأبيض الشاحب بعدما هربت منها الدماء وشعر أسود فاحم، كان رجلًا وسيما عندما كان على قيد الحياة، يحوم حوله المحقق الجنائي "شريف عزمي" مرتديًا زوجًا من القفازات يعاين القتيل ومسرح الجريمة قبل وصول خبراء الأدلة الجنائية والطبيب الشرعي، انتبه حسام إلى مجيء خالد فخطا نحوه، قائلًا:

- جالنا بلاغ تاني النهاردة يا فندم من الدكتور ممدوح الساكن في الدور الرابع بعد ما شاف خط سيل من الدم خارج من شقة عز وجالنا أمر النيابة بالتحرك ولما وصلنا لقينا المجني عليه مقتول والواضح إنه مقتول من ليلة امبارح.

- امم يعني ماكنش هربان ولا حتى خرج من العمارة كان تحت عنينا وماعرفناش.

اربدَّ وجه خالد من الغضب؛ فصمت حسام متقهقرًا، وأفسح له الطريق ليدلف مسرح الجريمة، رأى المحقق منهمكًا في عمله، ألقى عليه التحية وهو يجوب الشقة بناظريه، شقة كلاسيكية قديمة الطراز، مأثثة بفرش رث وتلفاز قديم لا يعمل، تكاد تكون خالية من متعلقاته ومقتنياته الشخصية، عزا ذلك إلى أنه شاب أعزب لم تتعدَ مدة سكنه بها شهرين، أبصر حقيبة عمل ملقاة على الأرض بجانبه وسقط جوارها هاتفه الذكي وقد تهشم جزء من شاشته، لكنه ليس بالأمر الذي لا يجعله يعمل. رائحة الدماء كريهة تعيث بأنفه وتثير غثيان معدته الملتهبة ذات القُرح، فأخرج منديلًا من جيبه ووضعه على أنفه، يسأل شريف:

- واضح إن المجني عليه كان خارج في شغل وقت وقوع الجريمة.

- أظن كده يا خالد بيه، وللأسف واضح إنه اصطدم بقاتل كمال وهو نازل من عنده بعد ما قتله؛ فقرر يتخلص منه علشان مايبقاش شاهد عليه. رد شريف بمنطقية.

- يعني جريمة مش مترتب لها زي قتل كمال.

- إطلاقًا! ده طعن عشوائي بعد اشتباك وأظن الطعنة الأخيرة كانت السبب في موته لأنها في القلب مباشرة.

هز خالد رأسه بأسى، ثم قال بنبرة متسائلة:

- تفتكر ده معناه إن المجني عليه عز كان عارف الجاني؟

- احتمال كبير وإلا ليه يقتله، مين بيفتكر وش حد شافه لثواني على السلم، ده غير إن عز مش هينجم إنه كان بيقتل كمال فوق.

- ده تفكيرنا إحنا، وجايز يكون مايعرفوش ومن توتره قرر يتخلص من أي حد شافه نازل من مسرح الجريمة.

زم شريف فمه مفكرًا، وأردف:

- والله كل شيء ممكن.

حينئذ قاطعهما وصول الطبيب الشرعي وفريق خبراء الأدلة الجنائية، شرع الطبيب في فحص الجثة وساعد شريف المصور الجنائي في تصوير الجثة بينما شرع خبير المسرح الجنائي في تفقد المكان وتحريز الأشياء المادية، فضلًا عن عمل خبير البصمات والذي كان حظه الأوفر بينهم إذ تبين فيما بعد حصوله على بصمات على باب الشقة غير بصمات عز، ذلك الأمر الذي فرح له المحقق بينما أثار الريبة في جوف مقدم المباحث.

جمع الطبيب مقتنيات القتيل التي كانت بجيب بنطاله، وبعد رفع البصمات عنها أعطى المحقق جوزدانه للتحقق من هويته، فتحها المحقق وجد بها بعض النقود وهويته الشخصية وبطاقة نقابة المحامين وبطاقة عمله في مكتب محاماة يملكه أحد المستشارين المعروفين. تغضن جبين شريف وهو ينظر إلى هويته وتلك البطاقات بنظرات غريبة تشف عن الحيرة والريبة مما دفع خالد يسأله عما حدث فأجابه مستنكرًا:

- هو مش صاحب العمارة كان أقر في أقواله إن ساكن الشقة دي اسمه عز؟

أجابه خالد وحسام أنه نعم؛ فأردف:

- لكن بطاقته مابتقولش كده.

قالها وهو يعض على شفتيه كمدًا، يمد لهما يده بالبطاقات فأخذها خالد ليقرأ ما بها وقد حلت الدهشة على ملامحه.

****

في الساعة الثانية عشر ظهرًا، وسط البلد

في أحد متاجر الكتب الشهيرة، سادت حالة من المرج والاضطراب إثر تحضير لحفل توقيع الكاتبة الروائية الشهيرة "وعد مخلوف" على أحدث أعمالها، تلك الفتاة الشابة اليافعة التي تتوسط الأحداث تصيح بصوتها الأجش تارة على صاحب

المتجر ليضع كتبها في المقدمة وأخرى على المصور الذي كان يجرع قدحًا من الشاي بأن يصور التجهيزات قبل بدء الحفل، بينما حاول مدير دار النشر تهدئتها:

- اهدي يا أستاذة وعد، كل شيء جاهز وهتبقى أفضل حفلة بإذن الله وهتنزل صوَرها في كل حتة، حتى إني مظبط مع كذا صحفي هيحضروا ويعملوا معاكي لقاء، هنلمعك يا أستاذة.

- أكيد؟ أنت عارف دي أول رواية ورقية ليا والانطباع الأول عن الكاتب هو اللي بيربط بيه القاريء. قالتها بفرحة غامرة.

- طبعًا طبعًا، بس قولي لي فين الناس اللي جاية معاكي؟

- آه إلهام جاية معايا.. إلهام!

نادت صديقتها التي كانت تتفقد الكتب؛ فجاءت ووقفت إلى جانبها باسمة الثغر، بينما أردف مدير الدار:

- أهلا وسهلاً طبعًا، طب فين أخواتك؟

- امم أخويا.. للأسف أكيد مع بابا في الشغل..

ثم التفتت إلى صديقتها واسترسلت بهمهمة:

- أنتِ عارفة طبعًا الولد الحيلة، مش مهم أنا.. مش مهم.

- طب قرايبك، أصحابك..

تفكرت قليلًا، ثم هتفت بابتسامة يائسة مترددة:

- إلهام!

- بس! قالها مستعجبًا.

هزت رأسها أنه نعم في محاولة للابتسام فبدت بلهاء، ثم انطلقت وكأنها تذكرت شيئًا:

- آه ومراد!

هتفت إلهام:

- آه صحيح هو فين لحد دلوقتي؟

- مش عارفة، أكد عليَّ إنه جاي بس بتصل بيه مش بيرد، كلمته فوق العشر مرات وبردو مش بيرد.

شرع القراء يتوافدون على المتجر، واتخذت وعد مكانها خلف إحدي الطاولات مفرودة الظهر، ورسمت بسمة على محياها، وعلى أحد جانبيها قائم يحمل نُسخ روايتها وعلى الجانب الآخر لوحة إعلانية (بوستر) عن كتابها ونبذة عنها، هي تلك الفتاة الفارعة النحيفة تتمتع ببشرة نوبية، وشعر فاحم، وعينين بنيتين يعتليهما حاجبان سوداوان شاحبان، وأنف روماني و خشم أفنس، هي ابنة المستشار محمود مخلوف رجل القانون الصارم، لم يحرمها شيئًا قط، كل ما تنشده يأتيها في الحال إلا من أمر واحد وهو نيل رضا والدها، الذي طالما سعت إليه حتى أنها التحقت بكلية الحقوق كي تشعره بقيمته لديها وأنها

ترى به مثلها الأعلى لكنه في المقابل همشها، وصب جام اهتمامه على ابنه، ولي العهد؛ فجعل منها شخصية مهتزة، تفتعل الأخطاء باستمرار وبالتالي لا تنال سوى التوبيخ، تكاد تكون وحيدة إلا من إلهام صديقتها ومراد الذي قبل بها حبيبة ودعمها، ومن ثمَّ تقدم لخطبتها وكان حفل خطبتهما سيقام بعد شهر من الآن، يكاد يكون هو الشخص الوحيد الذي وفد على حياتها ليهتم بأمرها من بعد والدتها التي فقدتها منذ خمسة عشر عامًا.

- اسمك إيه؟

سألت آخر قارئة توقع لها كتابها، قبل أن يتخذ الجميع مقاعدهم لتبدأ المناقشة، وهنا سألتها إحدى الفتيات المراهقات السؤال المعهود والذي يتفنن كل كاتب في جعل إجابته أسطورية:

- حضرتك كتبتي الرواية في وقت أد إيه، ومنين بتستلهمي كتاباتك؟

ابتسمت وعد ابتسامة عريضة، وتقمصت دورها قبل أن تنطلق قائلة:

- في الحقيقة الرواية خدت مني وقت طويل جدًا، كتبتها في تلات سنين، سنة ونص تأليف وسنة ونص مراجعة وتعديل وإعادة صياغة، الحقيقة تعبت فيها جدًا علشان أطلعها بالشكل ده، بستلهم كتاباتي منين بقا..

فكرت قليلًا تحدق بالسقف وتضيق ابتسامتها، يبدو أن لا إجابة حاضرة في ذهنها الآن؛ فعادت ضاحكة وهي تتبادل نظرها مع مدير الدار في ارتباك قائلة مستخدمة حركات يدها:

- من البحر، يعني بحب أقعد قدام البحر وأفكر، ده بيحفز الخيال عندي أكتر.. يعني.

أشار لها مدير الدار أنه حسنًا قالت؛ فاكتسبت بعض الثقة وانتظرت السؤال الثاني والذي طرحه شاب بوقاحة:

- حضرتك شايفة إن اللي بتكتبيه ده أدب؟

- أفندم؟

- يعني حضرتك ضيعتي أهم ركن من أركان الرواية وهو اللغة، من امتى والرواية بتتكتب بالعامية؟

تجهم وجهها لكنها حافظت على هدوئها وابتسامتها؛ فقالت:

- أي تناقض حضرتك مفيش تناقض، العامية دي لغتنا، وكتبت بيها علشان تقدر توصل لكل الناس. قالت في لهجة دفاع.

- لا هو الواضح إن حضرتك مش عارفة إن فيه فرق بين اللغة واللهجة..

نهضت فتاة معارضة وقالت:

- لو حضرتك مش عاجبك اللي أستاذة وعد بتكتبه جاي ليه وبتقرأ لها ليه؟ إحنا بنحب كتاباتها، ببساطة أنا واحدة مابتفهمش الكلام الملعبك بتاع الفصحى ده و بحس العامية قريبة مني أكتر.

أشارت وعد على الفتاة داعمة كأنها تقول هذا ما قصدته؛ فاسترسلت الفتاة متشجعة ، بينما أمسكت وعد مدير الدار الواقف خلفها من سترته فانحنى بجزعه؛ فقالت بارتباك:

- اتصرف في اللي بيحصل ده!

- ماتقلقيش يا أستاذة ده في مصلحتنا.

قطبت جبينها بعدم فهم؛ فاستطرد:

- الخلاف ده والخناقات دي هي اللي هتشهر الرواية وهتتباع أكتر، اسمعي مني.

لم تقتنع بكلماته بينما سمعت الشاب إياه يقول:

- هو من الطبيعي إن القارئ بيتثقف ويعلى بمستواه في القراءة، وده دور الكاتب إنما إن الكاتب ينزل لمستوى القاريء دي جديدة عليا بصراحة.

طالت المناقشات بين مؤيد ومعارض ومدير الدار يحاول أن يفصل بينهما، بدا أن وعد ستفقد وعيها بينهم حالما كان أخوها يتصل باستمرار وهي ترفض المكالمة حتى أذعنت وردت

ربما لتهرب من ذلك المأزق، لكنها لم تتوقع أبداً ما كان ينتظرها هناك، ألقى أخوها كلماته عليها بينما سقط الهاتف من يدها وخارت قواها، لم تعد تسمع ذلك الضجيج والغوغاء من حولها، أخذت إلهام تهزها لتعرف ما حدث لكنها كانت سجينة صدمة لم تستفق منها بعد وربما لن تستطيع.

****

استقبل صاحب العمارة المحقق وضابط المباحث بوجه كظيم محتقن، بينما أردف المحقق دون رفق:

- أستاذ توفيق! أرجو المرة دي تكون متعاون معانا وبلاش التحفظ ده، في النهاية إحنا بنقوم بشغلنا لتأمين حياتكم وحمايتكم، في ليلة واحدة اتقتل اتنين من سكان العمارة، مين اللي عمل كده وايه الدافع.. مش عارفين، ممكن تكون حياة أي حد فيكم في خطر وبالتالي حضرتك ملزم تزودنا بكل معلومة تعرفها.

لزم الصمت برهة ثم استطرد:

- خليني أسألك في الأول، المجني عليه التاني كنت قلت لنا فيما سبق إن اسمه عز لكن بطاقته بتقول إنه اسمه مراد عبد السلام عز البشبيشي.

أفرج توفيق عن كلماته متخليًا عن غضبه:

- والله هو لما جه يسكن عندي قال لي إنه اسمه عز.

ضحك المحقق شريف بجفاء، وقال:

- يعني إيه قال لك؟ مش المفروض فيه عقد؟

- لا هو قال لي محتاج سكن يكون قريب من شغله لمدة شهرين لحد ما يخلص تشطيب الشقة اللي هيتجوز فيها وينقل، الأمر ماكنش مستدعي رسميات وأنا شفت إنه شاب محترم.. وقبلت أسكنه.

لم يتمالك الرجل نفسه أن يتنهد، ثم تابع:

- وبعدين عادي أعتقد الشباب بينادوا بعض بأسماء عائلاتهم، يعني بتحصل.

- أنا كان ممكن أتقبل ده في أي وضع تاني، إنما واحد يعرف نفسه باسم جده لصاحب عمارة هيسكن فيها، مش غريب شوية.

قلب توفيق شفتيه، وحرك كتفيه قائلًا:

- والله ماعنديش فكرة.

خرج شريف وخالد من عنده وهبطا مرة ثانية إلى مسرح الجريمة حالما قابلهما حسام وهيئته تشف عن حصوله على معلومات جديدة وقد كان، حينما أخبرهما بأنه أجرى تحرياته واتصالاته بمكتب المحاماة وتواصل مع مدير المكتب وهو

الأستاذ نادر مخلوف ابن المستشار محمود مخلوف، وأكد ذلك الأول أن مراد كان يعمل لديهم وهو أيضًا خطيب شقيقته، حينئذ حك خالد ذقنه مفكرًا ثم التفت إلى شريف وقال:

- أظن إن الأستاذ توفيق كان عنده حق، يعني مفيش أمر يستدعي المبالغة.. جايز يكون متعود إن الناس بتنادي له عز، في النهاية ماكنش هو المقصود بالقتل.

هزَّ شريف رأسه قائلًا:

- عندك حق وبناءً على الأقوال، فأحمد اللي في دايرة الشك دلوقتي هو وعم كمال. ثم وجه حديثه لحسام:

- وصلت لحاجة عن الخناقة اللي حصلت بين أحمد وكمال؟

- حصل يا فندم، الخناقة حصلت في مركب(لو باشا 1901) في الزمالك في يوم 29 من الشهر السابق، حصل الأول جدال بين المجني عليه وأحمد تطور لشجار وتدخل الناس بما فيهم الآنسة سارة لفض الاشتباك بينهم وأثناء ده أحمد جرح كمال في دراعه بمطواة، وقتها سمعهم اتنين من اللي بينزلوا المشروبات واتنين من أصحابهم بما فيهم الآنسة سارة وأحمد بيهدده بالقتل لو ماتراجعش عن اللي بيعمله، ومحدش عارف للأسف كانوا بيتكلموا عن إيه.

ضحك خالد بخفة متهكمًا؛ فأثار فضول شريف لمعرفة السبب، لكنه سرعان ما انتبه وضحك هو الآخر مرددًا بصوت خافت:

- جريمة كلاسيكية يعني!

****

ألقت شمس الأصيل بآشعتها الحمراء على غيط البرسيم المحيط ببعض المنازل القروية ومنهم منزل عبد المنعم راغب، سمع ذلك الأخير صوت قرع على باب البيت فهمَّ ليفتحه إذ به يجد زوجته فتحية في طريقها إلى الباب تهتف " مين ع الباب!"

استوقفها بصوته الأجش:

- خدي هنا يا ولية، خشي جوا أني هفتح!

وقفت فتحية في إحدى الأركان المخفية حينما فتح هو الباب ليفاجأ بشرطي في انتظاره، فزع لدى رؤيته وتبادر إلى ذهنه أن يكون الحاج محمد زنون صاحب محل الأجهزة الكهربية قد قدم فيه بلاغًا بالكمبيالات التي كتبها على نفسه ليجهز ابنته منذ سنة ولم يستطع دفعها حتى الآن..

- الحاج عبد المنعم محمد راغب! قال المُحضَر.

- أ.. أيوا يا ابني خير إن شاء الله؟

- جايلك استدعاء من النيابة، اتفضل امضي!

- أني! ل.. ليه يا ابني، حصل إيه؟

- ابن أخوك كمال، تعيش أنت!

على إثر سماعها ذلك، صرخت فتحية:

- يالهوووووووي! يا حسرة قلبي عليك يا ابني! يا خراااابي...

أنهى الحاج عبد المنعم الأمر مع المُحضر، وعاد إلى زوجته التي أخذت تولول وتنوح قائلًا بغضب:

- اكتمي يا ولية اكتمي!

- غصب عني يا حاج، متربي على إيدي بردو، كان لسه شاب في عز شبابه يا عين أمه.

- يا عين أمه آه، أنتِ ناسية الواد دِه عمل إيه فيا؟ مش فاكرة طردني إزاي من بيته بعد ما أني اللي أويته في بيتي عمره كله.. مش راضي عنه ليوم الدين.

- حرام عليك يا عبده، ده في دار الحق.

- طب ياختي، قومي اعمليلي كوباية شاي قومي وكفاية تنوحيلي.. ولية غم!

****

يجلس في غرفته، يكسو وجهه أسمى آيات الإنكسار والألم، ينظر إلى صورة في هاتفه القابع بيده، يتأمل تفاصيلها الحية، ذلك الثلاثي الذي كان هو يتوسطهم وعلى يمينه سارة مبتهجة

المحيا، وعلى يساره كمال رفيق عمره، دمعت عيناه ولم يتمالك أن يحبس دموعه؛ فانهمرت لتسقط على الشاشة، لا يدري في قرارة نفسه هل هي دموع الحزن أم الشعور بالذنب، وخزة اختلجت صدره فآلمته فتنهد، ثم كفكف دمعه ونهض عازمًا على تفقد سارة؛ فهي أكثر ما يشغل باله في تلك الآونة، يخشى خسارتها هي الأخرى، غسل وجهه وبدل ثيابه ثم قام بالاتصال بها، يشعر بالوقت يمر طويلًا حال انتظاره ردها حتى أتاه صوت من الطرف الآخر، لكنه لم يكن صوتها؛ فأصابته خيبة الأمل:

- مدام جايلان، سارة عاملة إيه دلوقتي؟

- حالتها ماتطمنش والله يا أحمد حتى ماقدرتش تتكلم مع باباها كلمتين على بعض في التليفون وهو مقهور إنه مش عارف ينزل يشوف بنته في الظروف دي، معلش اعذرها.

- لا أبدًا أنا متفهم الوضع، طب هو أنا ممكن آجي أقابلها، يعني أقصد كل ما كانت لوحدها مش هتطلع من الحالة دي بسرعة.

- فكرة كويسة، تنور طبعا.

- تمام شكرًا و..

بتر مكالمتهما صوت جرس الباب، فاستأذنها أن تبقى معه على الخط وهو يفتح الباب عن حسام ومن خلفه زوجين من العساكر؛ فانقبض وجهه متسائلا بقلق:

- خير يا باشا.

أشهر حسام في وجهه إذن النيابة قائلًا:

- معانا أمر ضبط وإحضار ليك وأمر بتفتيش البيت.

نزلت كلماته كالصاعقة على مسامعه حتى أنه نسي وجود جيلان على الهاتف بينما دلف رجال الشرطة لتفتيش المنزل، سأل أحمد عن سبب القبض عليه؛ فجاءه جواب حسام أنه سيعرف كل شيء في قسم الشرطة، اختفى لون وجه أحمد في محاولة للتماسك حتما خرج ثلاثة من رجال الشرطة معربين أنهم لم يجدوا شيئًا بينما خرج الرابع وفي يده سلاح حاد مطواة "قرن غزال" هاتفًا "لقيت ده تحت المرتبة يافندم "

****

في شرفة غرفتها المطلة على النيل تقف متهدلة، تتكئ بمرفقيها الهزيلين على السياج، تتطلع إلى الأعلى، تراقب السحب المخملية وهي تسبح في الفضاء الأسود وتتناثر حولها النجوم متفاوتة الأحجام، تناجي القمر بإستياء دون التخوف من كونه ينزعج منها، لذا هو رفيقها المقرب في تلك الآونة.

مسكين هو! من يدري كم من الخلائق يتخذونه رفيقًا ويلقون بأعبائهم على عاتقه!

ألقت بنظرها إلى صفحة مياه النيل، وبالرغم من أن انسيابية مياهه الرقراقة أثارت استفزازها إذ كانت تتنافى في هدوئها مع ثورة الحزن المندلعة بصدرها، لكن مع ذلك شعرت ببعض الهدوء حينما داهمتها نسمة هواء باردة تحمل بين طياتها رائحة الندى العليلة؛ فأنعشت حواسها وبعثت في ذاكرتها إحدى الذكريات الجميلة، تتجسد أمام عينيها، كأنها تحدث لتوها وتشاهدها هي من إحدى الزوايا الخفية: شاب يافع وسيم، ذو عينين براقتين يلف ذراعه حول خصر فتاته الممشوق وتتشابك يده الأخرى بيدها ذات الأنامل الناعمة، يراقصها على موسيقى شاعرية على شاطئ العريش، يتألق سحرها منعكسًا في عينيه المتيمتين بجمالها الآسر، بينما تتمايل بين ذراعيه بخفة كالفراشة، وعلى حين غفلة نزع مشبك شعرها المعقوف لينسدل على ظهرها وتكتمل الصورة بفتاة بارعة الحسن، قال وهو يتأملها:

- أقول لك على سر بس توعديني مانتكلمش فيه تاني؟

تغضن جبينها، وطالعته بتعجب لكنها مازالت محافظة على ابتسامتها الرقيقة؛ فتابع:

- أنا خايف! امم خايف.

- من إيه يا حبيبي؟

- مش عارف! بس اللي متأكد منه إني ماعملتش حاجة حلوة في حياتي لدرجة إني أستاهلك أو إن ربنا يرزقني بيكِ.

أحنت رأسها بابتسامة أجمل ظنًا منها أنه يغازلها، ثم نظرت في عينيه قائلة بغنج:

- امم طب مش يمكن تكون دي فرصة لينا إحنا الاتنين نبدأ حياة جديدة ونرمي كل اللي فات ورا ضهرنا!

افترَّ عن ثغره ابتسامة تنم عن الارتياح ومدَّ أصابعه ليرجئ خصلتها إلى الخلف؛ فيمكنه بذلك رؤية عينيها الخضراوتين واضحتين دون حواجز، وراح يبحر في أعماقهما وهو يعدها ويعد نفسه ببداية جديدة من أجلها.. هي فقط. واختتم مشهده باعترافه:

- بحبك يا سارة!

فرَّت دمعة حارقة من عينيها واعتصرتهما بمرارة، وفجاة أدركت ذلك الوشاح تسدله چيلان على كتفيها، تكفكف دموعها بيد حانية؛ فارتمت سارة بحضنها وأجهشت في البكاء، بينما أخذت چيلان تهدهدها متمتمة:

- بس يا بنتي بس، حرام عليكي نفسك.. تعالي ندخل الجو برد عليكي!

لم تكن لتشعر بذلك البرد إثر ذلك الحريق المُضرم بدواخلها، أخذتها چيلان إلى الداخل وأرقدتها على الأريكة واضعة رأسها على فخذها، شرعت تمرر أصابعها في شعرها، يتآكلها شعور بالأسى حيال طفلتها. سمعتها تهمهم بصوت مبحوح:

- هو ليه بيحصل معايا كده يا چيلان؟ هو أنا منحوسة؟ مش مكتوبلي يفضل معايا حد بحبه.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، استغفري ربنا يا بنتي، كله مقدر ومكتوب.

لم تثلج تلك الكلمات صدرها، لكنها شرعت في الاسترخاء إثر تدليك چيلان لرأسها وغطت في نوم اكتنفته الكوابيس.

"السرد به القليل مِن الأكاذيب، وبعض الأكاذيب بها الكثير مِن الحقيقة"

باسوباثي

3

في قسم شرطة قصر النيل، وبالتحديد في مكتب المقدم خالد الدكروري، تلك الغرفة المقبضة يغلب عليها الطابع الخشبي، فكانت جدرانها مزيج بين اللون البيج والتجاليد الخشبية المضلعة رأسيًا، يقع على يمين الباب ذي الضلفتين أريكة جلدية وعلى يساره خزنة ملفات، ويقبع في مواجهته مكتب بني اللون يجلس أمامه أحمد منحنيًا بجزعه إلى الأمام مستندًا بمرفقيه على ركبتيه اللتين لا ينفك يهزهما بعصبية بالغة، يضم كفيه أمام وجهه متوترًا، تلك النتيجة الحتمية للانتظار المطول الذي يتعمده ضابط المباحث لبثَّ الذعر في جوف المشتبه به؛ فيسهل استخراج ما يكتمه بداخله إذ تضعه حالته الخائفة في موضع الإشتباه تلقائيًا وهذا ما حدث؛ فقد شرع ذهنه يخيل له أمورًا مروعة عوضًا عن تفكيره في سبب وجوده في هذا المكان المقبض وما ينتظره بعد ذلك. فُتح الباب على غفلة منه؛ فاتسعت حدقتاه متشبثتين بخالد وهيئته المهيبة ونظرته الماكرة الواثقة حتما أردف قائلًا بلهجة شبه ودية :

- أهلا أهلا يا أبو حميد.

كاد أحمد يقف قبل أن يواصل خالد حديثه ناهيًا:

- لا لا ياراجل خليك قاعد، بكرة هتقف كتير.

جلس أحمد ثانية، مزدردًا لعابه في استعصاء، وداخل جوفه يتآكل مفكرًا في مقصده من عبارته، لكنه أدرك في الوقت ذاته أنه لا يجب عليه الصمت أو يبدو خائفًا كي لا يثير الشك به؛ فاستجمع أعصابه وبادر بالحديث حالما جلس خالد خلف مكتبه:

- ممكن أعرف يا سيادة المقدم أنا هنا ليه؟

حدقه خالد بنظرة غريبة لم يدرك أحمد هل هي استهجان أم غضب، وما لبث أن أطلق ضحكة طويلة لعبت على أوتار أعصابه، حتى انتهى خالد وفاه بعبارته المروعة:

- شوف يا عم أحمد، بالمختصر المفيد كده أنت لبست في حيطة، أو اتحشرت في زاوية سميها زي ما تسميها بس أنت مفيش حل قدامك غير إنك تعترف وتحكي لنا كل اللي حصل من البداية للنهاية.

أضرج وجهه بالدماء وشعر برأسه يسخن وهو ينفعل قائلًا:

- أعترف بإيه يا حضرة الظابط أنا.. أنا ماعملتش حاجة و...

قاطعه خالد بنبرة حادة تحمل بين طياتها الترهيب:

- قتلت كمال ليه؟

كان تساؤله كالصفعة الملهبة في وسط الزمهرير؛ فاتسعت مقلتا أحمد بشدة حتى كادت تخرج من محجريهما، تضاربت مشاعره هل عليه أن يحزن على فقده لصديقه أم يلعنه لما

يلحق به الآن بسببه، صمت وهو يفكر كيف سيجعله يصدق أنه ليس له يدٌ في قتله إن كان يبدو واثقًا من ذلك وكأن هناك ما يدينه، عقل الأمر لبرهة وتوصل لنتيجة أنه بالتأكيد ليس هناك ما يؤكد تورطه في هذه الجريمة؛ فحاول استعادة بعض من هدوئه لكن ذلك ما لم يكن يمنحه إياه خالد؛ فاستطرد:

- سكتّ يعني؟ إيه ماعندكش إجابة؟ طب خليني أجيبهالك من الآخر، يعني علشان تبقى عارف إنك مش في وضع يسمح لك بالسكوت، كده ولا كده هتتكلم في النيابة..

- نيابة! قال أحمد متفاجئًا.

- طبعًا، باختصار حضرتك متوجه لك تهمة قتل المجني عليه كمال راغب و المجني عليه مراد عبد السلام المعروف باسم عز.

انتصب أحمد واقفًا وقد فقد أعصابه جملةً:

- إيه اللي حضرتك بتقوله ده، أنا..أنا ماقتلتش حد ولا كمال ولا مراد ولا عز ده، أنا ماعرفتش اللي حصل غير لما سارة كلمتني ليلة الحادثة و..

تقدم خالد إلى الأمام مستندًا بمرفقيه على المكتب قائلًا:

- عندك ما يثبت إنك ما غادرتش منزلك وقت وقوع الجريمة؟

- عندك أنت ما يثبت وجودي في بيته وقت الجريمة؟

- أنا هنا اللي بوجه الأسئلة. قالها خالد بلهجة قاطعة محذرًا ضاربًا بديه على سطح المكتب بعصبية، فتراجع أحمد ممررًا أنامله في شعره بتوتر، ثم قال:

- أنا آسف، بس والله أنا معرفش حاجة، ولا قتلت حد، حتى معرفش اللي حصل ده حصل ازاي ولا إيه الرابط بين كمال وعز.

- لا دي بسيطة، خليني أنا أشرح لك اللي حصل ولو غلطان صلح لي: أنت رحت لكمال (هز أحمد رأسه نافيًا فتابع خالد غير متأثرًا) فتح لك الباب ودخلت، اتكلمتوا شوية، كمال دخل المطبخ دخلت وراه ومعاك الحبل جيت من وراه ولفيت الحبل حوالين رقبته وشديته لحد ما اتخنق ومات بعد كده علقت جثته بالحبل في مروحة السقف وكتبت الجواب على الكمبيوتر علشان يبان إنه انتحار..

- ما حصلش ماحصلش.

لم يعر نفيه اهتمامًا وواصل:

- وأثناء نزولك من عنده صادفت عز خارج من شقته ولأنه عارفك وكان هيعترف عليك لما تُكتشف الجريمة قررت تتخلص منه وطعنته تلات طعنات بالمطواة اللي لقيناها تحت مرتبة سريرك.

هز أحمد رأسه يغمغم في إصرار:

- ماحصلش. ثم رفع ناظريه ليواجه خالد قائلًا بثقة:

- ممكن أعرف ليه أنا بالذات اللي بتتهموني بقتل كمال، رغم إنه كان صاحبي الوحيد.

- تقصد صاحبك اللي مقاطعه بقالك ٦ شهور واتخانقت معاه من 3 أسابيع بالظبط وجرحته في دراعه بالمطواة نفسها اللي قتلت بيها عز وهددته بالقتل قدام الكل.

تخلخلت ركبتاه وامتقع وجهه متسائلًا بغباء:

- حضرتك عرفت ازاي؟

ضحك خالد ضحكة ساخرة، يشير بيده إلى المكان حوله وقال:

- لو نسيت يا حبيبي بص حواليك شوف أنت فين، أنا ظابط مباحث يعني لو عايز اجيب تاريخ جدودك هجيبه، ومع ذلك الآنسة سارة هي اللي قالت عن الخناقة في الاستجواب وفيه شهود على الواقعة شهدوا إنك هددته بالقتل، ها لسه مصمم على الإنكار؟

صدم عند معرفته أن من أوشت به هي سارة، لكنه ابتلع غصته وحاول الدفاع عن نفسه:

- أيوا بس دي كانت لحظة غضب يعني ماقصدش إني هقتله بجد.

تفحص خالد وجهه بنظرات الخبير:

- و يا ترى كان إيه سبب الخلاف القوي اللي يخليك تهدده بحياته؟

تمهل أحمد وسرح بنظراته بعيدًا يتذكر أحداث تلك الليلة:

في مساء ليلة ٢٩ ديسمبر، سدر الظلام شارعًا أجنحته على باخرة لو باشا 1901 في حي الزمالك يتصدرها اسم الباخرة مستنيرًا بأضواء نارية دافئة كالتي تغمر الباخرة بأكملها وشرع وفود الزبائن في الازدياد خاصة على كافيه كارلوس، يتمتعون بمنظر النيل وانسيابية أمواجه المتبخترة، يشهد رقصة القمر في البساط الأسود فوقه مع النجوم الألقة ببريقها المعهود، ذلك المشهد الحصري لسماء المحروسة، يجلس أحمد رفقة بعض الأصدقاء في إحدى الطاولات المشرفة على النيل يدخنون النرجيلة فيتصاعد دخانها ويحتسون المشروبات الدافئة، بينما انضم إليهم بغتة كمال وسارة، الأمر الذي لم يرق لأحمد فانسحب مغادرًا الطاولة، حاولت سارة إيقافه لكن خفقت مساعيها لذلك؛ فأجلسها كمال وأخبرها أنه سيلحق به.

وقف أحمد عند البار منتظرًا تحضير مشروبه، تنهد متنفسًا الصعداء لكنه ما لبث أن كتم أنفاسه الغاضبة حينما رأى كمال مقبلًا عليه، أشاح بوجهه بعيدًا بينما توقف كمال بجانبه قائلًا:

- ازيك يا أحمد؟

ابتسم أحمد بسماجة شارعًا ذراعيه ينظر إلى نفسه باستعراض وقال:

- أهو بخير، زي ما أنت شايف.

اربدَّ وجه كمال وتملكته خيبة الأمل، لكن لم يكن أمامه سوى أن يحاول؛ فقال بنبرة استعطاف:

- أحمد! أنت صاحب عمري ومهما كان بيننا أنت مجبور تسمعني وتساعدني.

- أنا مش مجبور على حاجة وخاصة لو كانت تخصك. قال أحمد بلا تردد.

- لا مجبور يا أحمد، أنا واقع في مصيبة ممكن تكلفني حياتي، مش عارف أخرج من الموقف ده لوحدي محتاج مساعدتك.

- هه! العب غيرها. ماتنساش إني حافظك وحافظ ألاعيبك كويس.

- يبيه اسمعني يا ابني، أنا اتدبست في حوار كده من زمان و..

- بقولك إيه وفر على نفسك لأن طول ما اللي بيننا ده موجود مش هصدقك.

اشتاط كمال غضبًا لكنه حاول ألا يخسر فرصة النقاش هاته وقال محاولًا لين جانبه:

- طب مش آن الأوان بقا نفض الخلاف اللي بيننا، هنفضل كده لحد امتى.

- أظن أنت عارف الحل الوحيد علشان ده يحصل.

- ما هو اللي بتقوله ده كمان مش معقول يا أحمد، يعني إيه تخيرني بينك وبين البنت اللي بحبها، دي خطيبتي يا أحمد، فوق لنفسك.

- أنا اللي أفوق لنفسي، فعلا كانت دماغي فين لما عرَّفتها على واحد نسوانجي زيك.

- أنت ليه مش عايز تصدق إني بحبها بجد وإني اتغيرت.

- هه ديل الكلب عمره ما يتعدل.

- هو مين ده اللي كلب يا خ** أنت؟!

واشتد الخناق بينهما حتى انفعل كمال وفقد صوابه؛ فكسر زجاجة مياه صودا وكاد يبطش بوجه صاحبه الذي تفاداها بحركة سريعة لكن سرعان ما أخرج من جيبه مطواة "قرن غزال" و شجَّ بها ذراع كمال، سادت حالة من الهرج والفزع بين الزبائن وصراخ الفتيات، بينما تدخل بينهما أصدقائهما والعاملين في المكان محاولين فض الاشتباك حينئذ قال كمال:

- طب ورحمة أمي لأندمك على اللي عملته.

- أنا اللي بقسم لك لو مارجعتش عن اللي بتعمله هقتلك، سامع هقتلك.. أنت كده دايما بتسرق الحاجة اللى مش بتاعتك وتتحرق الناس المهم نفسك.

هذا ما حدث في تلك الليلة وقد قصه أحمد على خالد؛ فأخذ خالد يحدجه بنظرة تحمل أكثر من معنى لم يتبينها أكانت عدم تصديق أو شك أو أمر مغاير لكنه ظل يقسم أن هذا ما حدث؛ فسأله خالد عن سبب إخباء مطواته تحت فراشه وسبب حيازته للسلاح الأبيض من الأساس إذ أن هذا لا معنى له سوى أنه شخصية تميل إلى العنف ولا يتورع أمثاله عن إزهاق روح أحدهم في لحظة غضب؛ فأجابه أحمد وتبدو على وجهه أمارات الندم:

- يا فندم أنا عايش لوحدي وبرجع بالليل من شغلي من أماكن مختلفة بحكم شغلي كمندوب مبيعات أدوية في محافظات مختلفة طبيعي أؤمن نفسي، أما عن ضربي بيها لكمال فصدقني ده أكتر شيء ندمت عليه لحد دلوقتي ماكنتش أتوقع إني يوم ما أستخدمها يكون في خناقة مع أعز أصحابي بس هو اللي وصلني لكده وهو اللي بدأ العنف.

حينئذ طُرق الباب ودلف العسكري يخبر خالد بأن هناك محامي ينتظر بالخارج؛ فابتسم خالد بغموض بينما تعجب أحمد فلم يكن يتوقع أن سارة قد أرسلت له من يدافع عنه بعدما أوقعت به في تلك الأزمة وجعلته المشتبه به الأول في هذه القضية،

أخبر خالد المحامي عن ملابسات القضية بينما تم حبس أحمد لحين عرضه على النيابة في صباح اليوم التالي.

تصادف دخول حسام مع خروج المحامي فأومآ لبعضهما بتحية صامتة، مد حسام يده بملف قدَّمه لخالد قائلًا:

- تقرير الطب الشرعي لجثة كمال يا خالد بيه.

- هات يا سيدي أما نشوف.

جلس حسام وشرع خالد في الاطلاع على التقرير مجتازًا الدباجة الرئيسة عن معلومات القتيل والجهة الطالبة للتقرير واسم الطبيب والتاريخ وما إلى ذلك وجعل يمحص نتائج التشريح الباطني، استغرق بضعة دقائق في قراءة التقرير بوجه خال من أي تعبير فلم يستطع حسام استشفاف أي أمر، إذ لم يكن هناك معلومات جديدة غير التي توقعوها أثناء معاينة الجريمة، لا إصابات سوى ذلك الجرح بذراعه جراء مشاجرته مع أحمد، والإصابات الدالة على الخنق وأبعادها وتفاصيلها، كان تتركز عينا خالد على بعض المعلومات الهامة مثل " تم تخدير المجني عليه بمادة الكيتامين قبل خنقه..."، " الجاني يستخدم يده اليمنى "

انتهى خالد من قراءة التقرير بينما ينتظر حسام على أحر من الجمر معرفة نتيجته وذلك ما أفصح عنه خالد معلقًا:

- مفيش آثار بصمات، مفيش آثار عنف أو اشتباك بين الجاني والمجني عليه، القتيل اتخدر قبل ما يتم خنقه منعًا للاشتباك وإحداث الضجة أو الاستغاثة، جريمة قتل متخطط لها بشكل كامل.

- يعني كده أحمد لابسها لابسها.

أطرق خالد مفكرًا وانهالت جُل ملابسات القضية على رأسه فتشوشت أفكاره، بينما ردد حسام:

- يافندم.. يا فندم!

- ها! بتقول حاجة يا حسام؟

- بقول إن كده القضية تعتبر انتهت.

- لا وأنت الصادق دي ابتدت.

أرسل حسام إيماءة دهشة متسائلًا:

- ازاي يا فندم، كل الأدلة بتقول إن أحمد هو الجاني واعترافه مسألة وقت مش أكتر.

- من الناحية دي اطمن لو هو اللي عملها فشريف وكيل النيابة ده داهية، هيوقعه في شر أعماله، بس.. مش شايف إن الأمور واضحة زيادة عن اللزوم يا حسام؟

قلب حسام فمه وأومأ بيده شارحًا:

- أنا فكرت في كده بردو يا فندم، بس رجعت وقلت إن في النهاية الجاني شخص عادي مش قاتل محترف طبيعي إن مهما حاول ياخد احتياطاته هيكون فيه أدلة تكشفه.

- بس لو واحد عنده ذرة ذكاء مش هيهدد شخص بالقتل قدام كل الناس ويروح يقتله بعدها بـ 3 أسابيع.

- مظبوط كلام سعادتك بس أحيانًا الغضب بيعمي.

- كله هيبان يا حسام..مسألة وقت.

"إن القتيل ليس بريئًا من جريمة القتل"

جبران خليل جبران

4

عاد خالد أدراجه ليلًا، البناية تغرق في صمت مرعب وضوء خافت كبناية تسكنها الأشباح، لكن هذا ما يروق لخالد حالما يفضل الهدوء في مسكنه ليلًا بعد ضوضاء وحركة عمله المتزايدة نهارًا؛ فيهدأ ألم رأسه وينخفض ضغط دمه وتعود صحته إلى حالتها الشبه طبيعية، استقل خالد المصعد إلى الطابق الخامس..

1..2..3..4.. وصل الطابق المنشود، يقع باب المصعد أسفل يسار شقته بثلاث درجات، صعد تلك الدرجات مرورًا بالدرابزين، في تلك الأثناء لمح ظلًا يركض الدرج هبوطًا في الطابق الأول، لوى فمه استعجابًا لكنه تكهن أنه ربما يكون أحد سكان العمارة ريثما تقدم نحو باب شقته واسترعى انتباهه ذلك المظروف الساكن عند عتبتها في انتظاره، التقطه وقلبه بين يديه فوجد اسمه مكتوبًا عليه، عاد سريعًا بصفة غريزية إلى الدرابزين ينظر من الأعلى لكنه كان يعلم أن الأوان قد فات، ولج شقته وجلس إلى أقرب مقعد صادفه، نظر إلى المظروف يربت به على يده، ألقاه من يده ريثما يخلع سترته العلوية، ومن ثم حمالات المسدسات وظل بقميصه الأبيض، ثم سكب بعضًا من المياه وجرعها، بدأت تشنجات رأسه في الارتخاء وهدأت أعصابه قليلًا؛ فالتقط المظروف وفتحه، ثم شرع في

فض محتوياته، اندهش حالما رأى أن هناك مظروف آخر بداخله ورسالة، حل تطبيق الورقة وقرأ ما جاء بها:

" خالد بيه، لو عايز توصل لقاتل كمال، امشي ورا اللي هتلاقيه في الظرف ده "

ارتفع حاجباه دهشة، وشرع في فض المظروف الآخر يفكر ترى كيف ستكون مفاجأته، لكنها فاجأته بحق أو ربما أصابته بالذهول..

****

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي، مثلت سارة أمام وكيل النيابة شريف عزام، ملبية استدعاء النيابة لأخذ أقوالها، كانت في حالة مزرية، وجه عجوز باهت بملامح شابة، وشعر أشعث معقوف إلى الخلف بلا اهتمام، عينان متورمتان من شدة البكاء تستدر الدموع كلما استفزها المحقق بالاستذكار، فما كان لماء الدموع أن يخمد نار الجوى. استتبع شريف سيل أسئلته مشيرًا في ذلك إلى أحمد:

- آنسة سارة، تفتكري أحمد هو اللي قتل خطيبك؟

رمقته بنظرة تحمل الرد القاطع:

- مستحيل.

- ليه؟ على الرغم إن كل حاجة ضده، الدافع، حجة غيابه مفيش شاهد واحد عليها، ده غير إنه هدد خطيبك قدامك من 3 أسابيع قبل وقوع الجريمة.

هزت رأسها وفي قلبها حسرة قائلة:

- أنا عارفة أحمد كويس، هو قال كده من غضبه لكنه مش ممكن يأذي حد وخاصة لو كان صاحبه الوحيد، وبعدين أي دافع ده اللي يخليه يعمل كده.

- أنتِ مثلاً.

- أفندم؟

- آنسة سارة، يعني إحنا من نظرة واحدة لأحمد يوم الحادث قدرنا نعرف مشاعره ناحيتك، مش معقولة أنتِ ماتكونيش عارفة.

اضطربت سارة في ذهول، وقالت:

- لا طبعًا مش حقيقي، أحمد أقرب صديق ليا، أكيد أنتم فسرّتم رؤيتكم غلط.

- لكن أحمد اعترف إن ده كان سبب الخلاف بينه وبين كمال.

اتسعت عيناها في اندهاش، وغمغمت متسائلة:

- أحمد اعترف إنه قتل كمال؟

- لا، أنا قلت اعترف إن حبه ليكِ كان سبب خلافه مع كمال والدافع لقتله.

- ده كلام سخيف جداً يا فندم، يعني مستحيل واحد يقتل صاحبه علشان بنت..

- والله مستحيل بالنسبة لك أما إحنا كل يوم بنصادف قضايا بالشكل ده فمفيش عندنا مستحيل.

مررت أصابعها المرتجفة على جبهتها وأعادت ظهرها إلى الخلف تحاول استجماع رأسها المشوش واستأذنته أن تشرب المياه، وبعد أن رشفت منها وهدأت نسبيًا قالت:

- والله أنا قلت اللي مقتنعة بيه ومتأكدة منه، أحمد مش ممكن يعمل كده، هو مش من النوع ده من الناس.

هز شريف رأسه متفهمًا ردة فعلها، وقال:

- تمام يا آنسة سارة، شكرًا! تقدري حضرتك تتفضلي.

أومأت سارة ونهضت بتؤدة، ثم خرجت لتلتقي بأحمد واقفًا لدى الباب وأحد معصميه موثوقًا بـ (الكلبش) في يد أحد العساكر، أشاح بوجهه بعيدًا عنها، لكنها لم تتبين سبب ذلك إذ لم تدرك أنها قد ورطته دون عمد؛ فاقتربت منه وقالت برفق:

- أحمد! ماتقلقش أنا عارفة إنك مستحيل تعملها، أستاذ سامي مقداد من أفضل المحامين للقضايا الجنائية وأكيد هيطلعك براءة.

أطلق ضحكة قصيرة تهكمية، ثم قال بلهجة ساخرة تحمل حسرة:

- كتر خيرك والله، يعني من ناحية بتورطيني ومن ناحية تانية جايبة لي محامي.

- إيه اللي بتقوله ده يا أحمد، أنا..

- أنتِ إيه؟ أنتِ إزاي تفكري إن ممكن يكون ليا يد في قتله أصلا؟!

- أحمد أرجوك افهمني، أنا في موقف صعب من ناحية فقدت خطيبي اللي كان هيبقى جوزي بعد أيام ومن ناحية أقرب صديق ليا، أعصابي مش مستحملة ودماغي مشوشة.

لعق شدقيه بمرارة، ثم قال:

- أنا مش عايز أشوف وشك تاني، وياريت تمشي قبل ما أكسر قلبك أكتر من كده.

كادت ترد لكن لم يمهلها الحظ؛ إذ وصل أهل عز وما لبث أن هجم أخوه على أحمد مسددًا له لكمة في أنفه، نزف على أثرها الدماء، ثم أمسكه من تلابيبه صارخًا:

- قتلت أخويا ليه؟ هو عمل لك إيه؟ أقسم بالله لأقتلك..

تدخل العساكر ووالده الذي فرت الدموع من عينيه محاولين فض الاشتباك ريثما خرج شريف من مكتبه:

- إيه اللي بيحصل هنا! لو سمحتم أنا مقدر موقفكم، وإحنا لسه بنحقق، التهمة ما ثبتتش على حد، فما تضطرونيش أتخذ إجراء مش هيعجبكم.. دخله يا ابني.

أشار شريف إلى العسكري بأن يدخل أحمد كي يبدأ التحقيق معه، بينما أخذت سارة تشاهد ما يجرى في أحد الزوايا والدموع سواجم على خديها الملتهبين، كفكفت دمعها، وأخذت شهيقًا عميقًا، وارتدت نظارتها السوداء وتأهبت للخروج شامخة بإصرار تفكر فيما ستفعله ومن أين تبدأ، بعدما أدركت أن مهمتها في تلك الآونة لم تعد تقتصر على بكائها فقيدها، بل أصبح لزامًا عليها إثبات براءة أحمد وهذا ما عزمت عليه مهما كلَّفها الأمر.

شرع شريف في التحقيق مع أحمد، ولم تختلف أقواله عما قاله لضابط المباحث، وأصرَّ على إنكاره بارتكاب الجريمة، وقد قرر شريف حبسه أربعة عشر يومًا احتياطيًا على ذمة التحقيق.

****

بعد خروج أحمد، دلف الحاج عبد المنعم، كاد يتعثر بطرف جلبابه من فرط التوتر، فاستند إلى الطاولة أمام مكتب شريف، فشرفت على السقوط لكنه أمسك بها معتذرًا عدة مرات؛ فأومأ له شريف على مضض بأن لا مشكلة، وقف الحاج عبد المنعم أمامه يتلقى أسئلته:

- قل لي يا حاج عبد المنعم، امتى آخر مرة شفت فيها ابن أخوك؟

هرش جبهته قليلًا وبلل شفتيه الجافتين، ثم أجابه:

- يعني من ييجي سنة كده يا بيه، مش فاكر بالظبط بس في الحدود دي سنة أو عشر شهور.

- امم وإيه اللي حصل في المرة دي؟

نظر إلى الأرض يرفرف جفنيه بضيق؛ فألقى شريف على مسامعه:

- إيه السؤال صعب أوي كده؟

خرج عن صمته منفجرًا يشيح بيده:

- ما هو يا سعادة البيه أني مش عايز أتكلم، أهو راح للي خلجه، بس الواد كمال دِه عيل سَوّ، تخيل سعادتك بعد ما أويته في بيتي وربيته زيه زي عيالي وأكتر والله يا بيه، يتهمني أني

سرقت ورثه من أبوه، أبوه اللي هو أخويا، جليل الرباية صحيح.. الله يرحمه مطرح ما راح.

- امم وأنت بقا ما سرقتش ورث أبوه، يعني كان بيتبلى عليك؟

- وحياة النعمة دي على عيني يا باشا، أني ما مديت إيدي على مليم من فلوس أبوه.. ده أني، ده أني حتى كنت بصرف عليه من فلوسي علشان أوفر له قرشين الورث لما يكبر.

- طب وحقه في بيت البلد اللي كنت عايز تاخده، مش ده كان سبب خناقتكم آخر مرة؟ ده يعني لو كانت آخر مرة!

- والمصحف الشريف يا بيه كانت آخر مرة أشوفه فيها، صحيح يعني إننا اتخانجنا بسبب البيت، بس أني ماكنتش رايح أتخانج، أني بس كنت بطلب منه طالما مش محتاجه في حاجة يسيبهولنا، الواد ابني عايز يتجوز ومش عارفين نجيب له شقة.

بترقب حدق به شريف مطولًا، يضيق عينيه متفحصًا إياه، ثم قال مستخبرًا:

- كنت فين أول امبارح الساعة 8 بالليل؟

- كنت في الوكالة في مركز أشمون يا بيه، ببيع محصول اليوستفندي والبرتقان.

- عندك شهود على كده؟

- طبعا يا بيه، كل اللي في الوكالة شافوني، أني وصلت هناك الساعة 5 المغرب ومشيت تجريبًا الساعة 9 بالليل.

كانت إجاباته كافية لشريف وأنهى التحقيق معه عند ذلك وأطلق سراحه.

****

طرق حسام باب مكتب خالد ودلف يبدو عليه النشاط ملقيًا تحية الصباح:

- صباح الخير يا خالد بيه.

- صباح الخير يا حسام. ردها خالد بنبرة استغربها حسام؛ فحدقه بعينين تضيقان في محاولة لتبين ما وراء قناع الانشراح هاك، فقال خالد:

- أتمنى تكون نمت كويس علشان ورانا شغل كتير.

- تحت أمرك يا فندم.. بس ليه حاسس إن فيه خبر مستنيني!

برقت أسرَّة وجه خالد، وقال مبتسمًا بنبرة خبيثة:

- تعجبني أحاسيسك دي يا حسام، بس بذمتك أنا قلت لك إيه امبارح؟

كان في حديثه من الإلماح ما يكفي ليفهم مقصده؛ فتراجع إلى الخلف، وقال:

- امم ده معناه إن فيه جديد، بقا عندي فضول أعرف.

مدَّ خالد يده بظرف مفتوح؛ فتغضن جبين حسام بعدم فهم، لكنه تناوله منه وفضه ليجد به ورقتين، الأولى وهي ما لفتت انتباهه إذ كانت خبرًا مطبوعًا على ورق طباعة لامع وبه صورة لفتاة، غُطِّي علي عينيها وصورة لكلية الآداب وكان عنوان الخبر " شاهد فضيحة فتاة كلية الآداب جامعة عين شمس " تحته مباشرة اسم محرر الخبر "وائل صبحي" وكان ذلك بتاريخ ١١ نوفمبر ٢٠١٤، أما الورقة الثانية كان بها صورة خلفيتها سوداء ونقش عليها رمز اللانهاية بشكل مزدوج، لم يفهم كنهها لكنها بدت شعار لمؤسسة ما، حينئذ أشار له خالد بأن يقلبها؛ ففعل ووجد على ظهرها كُتب "شارع 105- ميدان الحرية- المعادي"

- إيه ده يا فندم؟ ومعناه إيه؟

- لسه التقيل جاي في الرسالة اللي معاهم.

قال مشيرًا بعينيه إلى الظرف، فاستخرج منه حسام ورقة مطوية، فتحها فوجدها رسالة مكتوبة بخط اليد

" لو وصلك الطرد ده يا حضرة الظابط، فـ ده معناه إني مُتّ أو بالأحرى اتقتلت، الصور اللي في الظرف ده هتوصلك للحقيقة، أنا ماعرفش مين اللي عايز يقتلني بس متأكد إنك لو

دورت ورا الصور دي هتوصل له وهتحل ألغاز أنا عجزت عن حلها ويمكن تقدر تمنع ارتكاب جريمة تانية.

كمال راغب"

- معقول يا فندم؟ المجني عليه كان عارف إنه هيتقتل، واضح إنه كان بيتعرض للتهديد.

- فعلا يا حسام، الظرف ده جالي امبارح على البيت وكان معاه رسالة تانية غير دي بتقول إن اللي جوا الظرف هيوصلنا للحقيقة.

- ده معناه إن القاتل مش أحمد؟

- لسه مانعرفش، القتيل نفسه ماكانش يعرف مين اللي بيهدده.

- صحيح. طب بالنسبة للخبر ممكن نبحث عنه على النت أكيد هنوصل لحاجة ونعرف.

- و دي حاجة هتفوتني بردو يا عم حسام، أكيد عملت كده بس لقيت حاجة غريبة.

- إيه هي يا فندم؟

- يعني في الغالب خبر زي ده أكيد هيكون له كذا مصدر وكل مصدر بكلام مختلف وتفاصيل مختلفة، أنت عارف ما بيصدقوا جنازة ويشبعوا فيها لطم، لكن الغريب إن كل ده اختفى ما عدا الخبر اللي في إيدك ده بس، هو الوحيد اللي لقيته

وكانت تفاصيله قليلة مجرد فصل بنت منحرفة من كلية الآداب جامعة عين شمس بعد تداول فيديو إباحي ليها على المنصات الالكترونية. مين هي البنت، فين هو الفيديو المتداول، فين تفاصيل الموضوع مفيش أي حاجة كأن حد سعى ورا اخفائها.

- طب وهنعرف إزاي يا فندم؟

- هنعرف ازاي.. شوف يا سيدي مطلوب منك تطلع على الكلية وتستفسر عن البنت دي وحكايتها إيه وهي فين دلوقتي وإيه اللي حصل لها يعني أكيد حصل مساءلة قانونية، والفيديو ده توصل له بأي شكل، ممكن تتواصل مع الجريدة اللي نزلت الخبر، أكيد الصحفي ده عارف الكواليس اللي مش هينفع تتنشر.

- تمام يا فندم طب والصورة التانية؟

- والله اللي استشفيته منها إن ده لوجو جايز لمحل أو مكتب مش عارف، الغريب بقا إن كان فيه وشم على دراع كمال بنفس الرمز.

- أعتقد إنه كان عامله قاصد، بيلفت انتباهنا لحاجة يعني!

- احتمال كبير، خاصة وإن الرمز ده له معنى مش اعتباطي وهو الانتقام. على العموم، هروح العنوان وأدوَّر هناك (نهض يلملم حاجياته تأهبًا للخروج واستتبع) بس هعدي الأول على

شريف، ياللا أنت ابدأ باللي اتفقنا عليه وعايزك ترجع لي بنتيجة مرضية يا حسام.

نهض حسام هو الآخر وردّ بحماس:

- تحت أمرك يا فندم.. صحيح يا خالد بيه تفتكر مين اللي وصل الظرف ده لحضرتك؟

شدَه خالد بذهنه إلى الليلة السابقة، لاحت ابتسامة ماكرة على ثغره ولم يرد.

بمجرد خروج خالد وحسام من مكتب الأول استعدادًا لمواصلة بحثهما وتحرياتهما، استرعى انتباههما رؤية سارة في نهاية الرواق تسير في اتجاههما، انتبه خالد لارتجاج جسدها العنيف أثناء سيرها كفرس تستعرض رشاقتها بشموخ في سباق للخيل الأصيل، لم ينكر أن فاتنة الرداء الأسود أثارته بشكل أو بآخر لكن ما استبينه أن هناك قوة غضب جامحة تحركها حتى توقفت قبالته، وخلعت نظارتها، وفاهت بلهجة تحمل سخط رهيب كاد يصاحبه دخنة أنفاسها:

- خالد بيه ممكن أتكلم مع حضرتك شوية؟

ألقى خالد نظرة إلى ساعة يده، ثم قال:

- للأسف عندي شغل ضروري و..

- مش هاخد من وقت حضرتك كتير.

لم يكن بوسعه شيئًا أمام إلحاحها سوى الموافقة ودعاها إلى مكتبه، بينما أشار إلى حسام كي يذهب ويفعل ما أمره به، لعلَّه يصل إلى بينة، إذ إنه مازال يعتقد أن القضية غامضة وكلما ظهرت أدلة أو بالأحرى مؤشرات بحث، غدت أكثر غموضًا.
عاد خالد إلى مكتبه وجلس خلفه منصتًا إلى سارة التي بدأت حديثها بلهجة تحمل عتاب غير مبرر:

- يا فندم إيه اللي بيحصل ده؟ أنا لما قلت لحضرتك عن اللي حصل بين كمال الله يرحمه وأحمد ماكنش قصدي أتهم أحمد إطلاقًا.

- أنا مقدر الحالة اللي أنتِ فيها يا آنسة سارة بس صدقيني مالوش داعي تلومي نفسك، منك أو من غيرك كنا هنعرف، دي جريمة قتل يعني طبيعي اول حاجة نبحث عنها هي عداءات القتيل.

سرت رعدة في جسدها لما ذكره، ونعت خطيبها بالقتيل كان له وقع غير محمود؛ فانسكبت بعض العبرات على وجنتيها فمد لها يده بمنديل ورقي معتذرًا؛ فأخذته ومسحت عينيها وأنفها وشكرته، ثم أردفت مستصعبة:

- صدقني يا فندم أحمد ماعملش كده ومهما كان بينهم مستحيل يوصله لاختيار القتل.

- أنا رأيي تسيبي ده للتحقيق وماتشغليش بالك وكل حاجة هتبان في وقتها.

- لو سِبت الموضوع للتحقيق يبقى أحمد هيروح ضحية جريمة مارتكبهاش وهتثبت عليه التهمة يا فندم، المحامي قال لي إنه موقفه صعب.

تفرَّس خالد في وجهها، وقد أدرك أن هناك نوايا مخبأة خلف حديثها؛ فاستقطع الطريق وأردف مباشرة:

- والمطلوب؟

ازدردت ماء حلقها، وقالت بقلة حيلة:

- تساعدني أثبت براءة أحمد.

ندت عنه ضحكة قصيرة مباغتة، ثم قال مستهجنًا:

- آنسة سارة أنا شغلي هو البحث عن المجرم مش تبرئة المشتبه فيه، ده شغل النيابة و زي ما قلت لك هيبان في التحقيقات.

- أفهم من كده إن حضرتك رافض تتعاون معايا؟

رفع حاجبيه وزم فمه متأسفًا؛ فنهضت وقالت قبل أن تخرج:

- تمام، متشكرة على وقتك يا فندم بس حتى لو ما ساعدتنيش أنا مش هقف ساكتة وأتفرج من بعيد.

وبينما كانت على وشك الخروج استوقفها خالد:

- معناه إيه الكلام ده؟ آنسة سارة، أنتِ كده ممكن تعملي مشاكل وتعطلي سير البحث والتحقيقات وده مش هيبقى في صالح حد ولا حتى أحمد، كمان أنتِ كده بتعرضي نفسك للخطر.

ابتسمت في هدوء وقالت بإصرار:

- وليكن يا حضرة الظابط، شكرًا مرة تانية.

خرجت من مكتبه مغادرة بينما زفر خالد متأففًا.

****

في كلية الآداب بجامعة عين شمس وبالتحديد عند مكتب وكيل الكلية، وقف حسام منتظرًا إنهاء الدكتور محاضرته وعودته إلى مكتبه، طال انتظاره بما يقارب الساعة وهو يراقب الطلاب بملل، يتسمع إلى أحاديثهم، المضحكة منها والسخيفة، حتى سمع أحد الطلاب يهتف بصوت منخفض:

- الشايب جه! استعدوا علشان نخلص من المادة دي مش هنفضل نشيل فيها كل سنة.

مط حسام رأسه للخلف ليلقي نظرة عمَّن يتحدثون عنه؛ فوجده رجلًا في عمر يناهز الخمسين عامًا ذا شعر أبيض لامع ينسجم مع سمرة بشرته وحلته الرمادية، وبعد لحظات تفاجأ أنه منشوده وكيل الكلية، فتح الدكتور عبد الواحد باب مكتبه ودلف

ولم يتوان حسام في طرق بابه؛ فسمع صوته يقول بحزم معتقدًا أنه أحد طلابه:

- بعد ربع ساعة.

فتح حسام الباب ووقف بشموخ حالما التفت إليه الدكتور متعجبًا بعدما ألقى بسترته العلوية على ظهر مقعده، ضيق عينيه فاحصًا زائره؛ فبادره الأخير قائلًا:

- مساء الخير يا دكتور عبد الواحد، أنا الضابط حسام مندور مباحث جنائية.

انقبض وجه الرجل على الرغم من بشاشة حسام، قطَّب بين حاجبيه ثم اقترب منه مُرحبًا :

- أهلا يا حضرة الضابط، خير، اتفضل!

صافحه حسام، ثم جلس على المقعد أمام مكتبه حيثما أشار له، وشرع يشرح له:

- خير يا دكتور، في الحقيقة أنا جاي أستفسر من حضرتك عن طالبة كانت هنا من ست سنين.

اضطجع عبد الواحد في مقعده وابتسم قائلا:

- يااه من ست سنين، حضرتك عارف عندي كان طالب في الكلية في السنة الواحدة من الصعب أفتكرها.

- لا هتفتكرها ماتقلقش. قالها واثقًا، ثم مدَّ إليه قطعة الجريدة التي تحمل الخبر إياه فتمتم الرجل:

- الطالبة ف.أ.ع! فكر قليلًا ثم استأنف قائلًا كأنما سرى به تيار كهربي:

- آه طبعا عندك حق مستحيل أنساها، الله يلعنها جابت العار لكليتنا "فرح أحمد عبد السلام "

- فرح أحمد عبد السلام!(كرر حسام يحفظ الاسم برأسه متابعًا) طب ممكن حضرتك تحكيلي تفاصيل الحادثة دي.

- بس حضرتك بتسأل ليه، ده موضوع واتقفل من سنين، هو حصل حاجة؟

- بنحقق في قضية متعلقة بالموضوع ده بشكل أو بآخر، لكنه بالتأكيد هيساعدنا في حل قضيتنا.

هز عبد الواحد رأسه متفهمًا؛ فعاد حسام سائلًا عما قصده من كلامه قبل قليل؛ فأجابه:

- الموضوع واضح يا حضرة الضابط، كانت بنت فلتانة بتروح شقق استغفر الله العظيم لحد ما واحد من إياهم صورها وطبعا بعد الحادثة دي خافت تواجه أبوها وانتحرت وهو مات بحسرته، وربنا رحم مامتها إنها ماتت قبل ما تشوف كل ده.

- انتحرت!

حك حسام ذقنه يفكر في كلام الدكتور قليلًا، ثم قال:

- طب وأخواتها؟

- اللي سمعته وقتها إنها وحيدة أهلها.

- طب حضرتك تعرف مين كانوا أصدقاءها مثلا أو اللي كانوا قريبين منها.

- لا ده صعب أفتكره أو أعرفه مش معقولة يعني هركز مع الطلبة وأصحابهم، بس هسأل لحضرتك وأرد عليك، ربما يكون حد عارف.

- وهو كذلك.. و ده رقمي أرجوك تبلغني في حال عرفت أي معلومة (سحب ورقة ملاحظات من على مكتبه وكتبه قائلًا وهو يصافحه) شكرًا جزيلا يا دكتور!

****

وصل خالد ميدان الحرية بالمعادي وشرع يتجول بسيارته في شوارعه بحثًا عن لوحة إعلانية تحمل الشعار إياه، لكنه لم يجدها فعاد الكرَّة من جديد حتى توقف بسيارته، وسأل أحد المارَّة عن وجود محل أو مكتب يحمل هذا الشعار، رمقه الرجل بنظرة مريبة وأخبره برقم العمارة؛ فشكره خالد غير عابئًا باستهجانه، توقف ثانية أمام البناية التي أشار عليها الرجل، نزل من سيارته متجهًا نحوها وكان هناك خفير

يحتسي قدحًا من الشاي، يتبادل الحديث مع بواب العمارة المجاورة والذي انتبه لوفود خالد عليهما بهيئته المهيبة؛ فبادر هاتفًا:

- اؤمر يا بيه!

- اسم الكريم إيه؟

- عباس.. اتفضل.

أخذه خالد تحت ذراعه بعيدًا عن زميله وقد خالجه شعور بالخوف؛ فهو يعرف تلك القبضة جيدًا منذ أن ذاقها في الشهر السابق، بينما أضاف خالد بنبرة حثيثة:

- بص بقا يا عبس عايزك تقول لي كل المعلومات عن سكان العمارة، مين هما وكل صغيرة وكبيرة عنهم.

حمحم عباس وهو يتطلع إليه مزدردًا لعابه:

- لامؤاخذة يا بيه مين سعادتك؟

مطَّ خالد فمه في شبه ابتسامة، وما لبث أن زمَّه واستحالت ملامحه إلى الجهامة قائلًا:

- مباحث يا حبيبي، تحب نتعامل بالذوق ولا تشرفنا وتاخد واجبك!

اعتدل عباس في وقفته مؤديًا تحية شبه عسكرية وهو يهمهم:

- أهلا يا باشا، اتفضل يا باشا اؤمرني.. سكان العمارة يا باشا هما تلاتة الأستاذ سميح وحرمه في الدور الثاني و ده محاسب في بنك والأستاذ عبد الرازق وأسرته وده دكتور تحاليل يا بيه وناس كُمَّل، والدور التالت فيه صاحب البيت ومراته وابنهم كان عايش معاهم بس اتجوز وهما دلوقتي لوحدهم.

- طب والدور الأول يا عبس.

- لا يا بيه ده كان متأجر تجاري واتخلى من شهر ومن ساعتها محدش قرب له ولا هيقربوا له حتى لو عرضوه ببلاش يا بيه.

تغضن وجهه خالد وجلس إلى حافة حوض النباتات متسائلًا:

- اشمعنا إيه اللي حصل؟

- هو فيه حد بيسكن بيت اتقتل فيه قتيل يا بيه؟!

انتبه خالد وولاَّه جُلَّ تركيزه منتصبًا بقامته مرددًا:

- قتيل!!

- أيوا يا بيه الأستاذ مصطفى الشوادفي المشهور ولا مؤاخذة بـ" بالدرش الكينج".

ارتفع حاجب خالد، ولاحت ابتسامة ماكرة على شفتيه حالما أردف:

- لا أنت تشرح لي الحكاية بالتفصيل يا عباس، قول لي الأول، شفت الصورة دي قبل كده؟

ألقى الخفير نظرة على الصورة وسرعان ما عقب:

- أيوة يا بيه أومال، ما هي دي كانت يافطة المركز بتاعى الأستاذ مصطفى، كان لا مؤاخذة بيرسم السُخام ده على جسم الناس، البتاع ده التاتو ولا ماني عارف بيسموه إيه وبيبهدلوا بيه خلقتهم.

- تاتوه! تمتم خالد وأرجع رأسه للخلف تضيق حدقتاه متذكرًا ذلك الوشم على ذراع كمال، كان هو شعار مركز مصطفى لرسم الوشوم ولابد أن هذا الأخير من وشمه به بناءً على رغبة كمال ليقودهم إليه. هكذا استنتج من سيل المعلومات المتدفقة حتى هذه اللحظة. ثم مضى يعتصر ذاكرة عباس مستمدًا منها ما يريده من معلومات عن تفاصيل الجريمة.

****

اتجه حسام مباشرة بعد خروجه من جامعة عين شمس إلى الدقي حيث مقر الجريدة معتمدًا في ذلك على GPS والتي ضلته الطريق؛ فصار يلعن ويسب في تلك الجريدة التي نعتها بـ "جريدة تحت بير السلم". توقف أمام إحدى التفرعات عن الشارع الرئيسي وأغلق خريطة هاتفه ونزل يسأل في أحد المتاجر، ولم يلبث أن خرج تاركًا سيارته ودلف أول شارع

جانبي حينئذ تراءت له يافطة بيضاء أوشكت كلماتها على الانمحاء، كُتب عليها باللون الأحمر "جريدة المصريين"، ضحك حسام وهزَّ رأسها في استخفاف، ثم صعد إلى الطابق الثاني حتى توقف أمام باب شقة لا تتعدى مساحتها المئة متر، ظهر أمامه عجوز تجعدت قسماته وبلت أسنانه فلم يظهر منها سوى أنيابه، طيب المظهر، استشف من ملابسه والصينية بأكواب الشاي في يده أنه الساعي، فبادر قائلًا:

- مساء الفل يا ريس.

- أهلا يا باشا، اؤمر!

- كنت عايز الأستاذ وائل صبحي، ألاقيه فين؟

- مين؟ تساءل العجوز مستغربًا أو ربما ضعف سمعه مع هدر الزمن؛ فكررها على مسامعه:

- وائل صبحي.

- يااه، ده مشي يا ابني من زمان.

- مشي!

- آه ساب الجريدة من سنة و..

حينذاك تدخل شاب لم يتبين حسام طبيعة عمله في هذا المكان البالي وقال:

- مين حضرتك وبتسأل على وائل ليه؟

ارتفع حاجب حسام بإشارة تحذيرية، وقال ببرود وملامح جامدة :

- مباحث!

لاحت علامات الاضطراب على وجهه، وقال بعدما ابتلع غصة حلقه:

- خير هو وائل عمل حاجة؟

- مش شغلك، لو تعرف مكانه قل لي عليه بدل ما تدخل نفسك في سين وجيم.

ارتعدت فرائص العجوز؛ فهتف مقرًا:

- الأستاذ وائل يا بيه بيشتغل دلوقتي في جريدة الرأي العام.

أطبق الشاب عينيه بغضب مشتاطًا من العجوز بينما بدل حسام نظره بينهما بإمعان، ثم خرج مغادرًا.

بعد مرور خمسة عشر دقائق، كان حسام في مقر جريدة الرأي العام، بدت له أفضل حالًا من سابقتها، استقبلته إحدى الموظفات وسألته عن مبتغاه؛ فأخبرها فجاءه جوابها:

- آه أستاذ وائل موجود، أظن شفته النهاردة، ثواني هدخل أشوفه لحضرتك.

تركته وتوجهت إلى إحدى غرف المكاتب لكنه لم ينتظر وسار في أثرها، دخلت وسألت أحد الصحفيين:

- محمد، أومال وائل فين؟ الأستاذ بيسأل عليه.

- مش عارف جاله تليفون كهربه قام نط وخرج بسرعة معرفش راجع تاني ولا لأ.

اعتلت الدهشة وجه حسام؛ فدخل وسأل محمد:

- معلش ممكن أعرف التليفون ده جاله امتى بالظبط؟

تعجب محمد في بادئ الأمر، لكنه لم يطل؛ فأجابه:

- يعني من ربع ساعة تقريبًا.

بدت علامات الفهم في ابتسامته التهكمية، وعلى الرغم من معرفته الإجابة سأله:

- ماتعرفش مين اللي كلمه؟

- لا ما سألتوش، مين حضرتك؟

لم يجبه حسام وخرج على الفور من الجريدة في استعجال وهو يجري اتصالًا هاتفيًا.

"التأخر في الانتقام يجعل الضربة أشد قساوة"

جون فورد

5

تدق ساعته العاشرة مساءً، يسير في طريق وعرة، غير ممهدة بحي شعبي متهالك أشبه بالخرابة، يتلفت حوله بذعر بيّن، يتبادل نظرات الشك والرهبة مع شباب الحارة، يخال له أنهم سيثبتونه ويسددون له الطعنات لينتزعوا جزدانه الفقير؛ فتذهب حياته سُدى من أجل حفنة جنيهات وربما هاتفه المحمول يكون ذا قيمة، نفض تلك الأفكار عن رأسه وأسرع في خطاه حتى وصل الباب المنشود، قرعه بصبر نافد حتى فتحت له سيدة في عقدها الرابع تقف مستندة على الباب بخصر متمايل وابتسامة تنطوي على الإغراء من بين أحمر شفتيها الفجّ فضلا عن العدسات اللاصقة الشبيهة بعيني كلب الهاسكي، وشعرها الأسود الحالك منفوش فوق رأسها في تسريحة شعر الأسد، قالت بميوعة:

- اتأخرت كده ليه يا وائل؟

نحاها جانبًا عن الباب بيده وولج بلا مبالاة قائلًا بضجر:

- وإيه الخرابة اللي أنتِ جيباني فيها دي؟

لم يسعفها الحظ لتجيبه حتى خرج حسام من إحدى الغرف هاتفًا بإبتسامة بها تعبير عن النصر والمكر سواءً مفاجئًا وائل:

- إيه يا نجم المواعيد دي، مش عارف إن ال... المزة مستنياك.

- إيه ده أنت مين؟

- قضاك، أنا قضاك ياحبيبي اللي بتهرب منه من صباحية ربنا.

فهم وائل أنه ضابط المباحث، ومع ذلك قرر المراوغة:

- أناا.. مش فاهم أنت بتتكلم على إيه؟

- كان ممكن أصدقك لو ماكنتش عملت شغل السبع لفات ده..ودلوقتي ياللا يا ماما سكتك خضرة.

مصمصت عبير بفمها قائلة بغنج:

- تحت أمرك يا بيه، بس أكيد هتخرجني من قضية الآداب و..

- عبير! اخفي قبل ما أرجع في كلامي.

خرجت عبير مسرعة، زاغت مقلتا وائل في المكان كفأر حبيس تم اصطياده يبحث عن مخرج من المصيدة، لكن كيف له ذلك وصائده يضيق عليه الخناق، عمل عقله بسرعة مدهشة وقرر ماذا يجب عليه فعله؛ فأوقات الخطر يتضاعف فيها القدرات الذهنية والجسمانية أيضًا للإنسان منساقًا لغريزة البقاء، ابتعد خطوات قليلة عن حسام مشيرًا بيديه باستسلام حتى بات على بعد مناسب منه ليرفع ساقه ويفرد ركبته ويسدد

ضربة تحت الحزام تلقاها حسام برد فعل سريع على وسادة جعل منها حاميًا؛ فهو مدرب على الألعاب القتالية أيضًا. هجم على فريسته ولكمه في خده بقوة ثم دفعه إلى الحائط ضاغطًا بذراعه على رقبته حتى كاد يختنق؛ فاندفع وائل معترفًا بصوت مبحوح لإنقاذ روحه:

- هقول على كل حاجة.. أنا اضطريت اعمل كده، ماكانش أقصد أؤذي حد، أنا كنت بنقذ نفسي.. كانوا هيقتلوني.

خفَّ حسام من ضعط ذراعه متفاجئًا، وسأله:

- مين هما؟ انطق!

- ولاد عيلة أبو ركيبة، فاكرين إني قتلت ابنهم وعايزين ياخدوا طارهم مني بس والله العظيم أنا ماقتلتوش و...

- شششش!

أسكته حسام غاضبًا مقطبًا بين حاجبيه وصاح فيه يضغط على صدغه بقوة:

- أنت هتصيع عليا يا روح أمك؟

حاول وائل الفكاك منه قائلًا:

- والله يا باشا دي الحقيقة أنا انتحلت شخصيته علشان كده.

صعقت كلماته عقل حسام الذي تساءل بدون فهم:

- شخصية مين؟

تعجب وائل وفهم أنه قد وقع في فخ إذ لم يكن الضابط يعلم بهذا الأمر، إذن فلماذا يبحث عنه، هكذا كان يفكر حينما ردد حسام بقوة:

- انطق بالذوق أحسن لك ياله، وإلا تكون آخر مرة تنطق فيها.

- لا لا لا، هقول على كل حاجة. قرر وائل الاعتراف فما من مفرٍ أمامه ولا فائدة من الإنكار، فأردف معترفًا:

- أنا مش وائل يا باشا.

تراجع حسام مندهشًا، يمحصه بنظرات الشك بينما استطرد وائل:

- صدقني يا باشا أنا بقول الحقيقة، أنا اسمي هاشم محمد الجنايني من المنيا، وهربان من عيلة علينا ليها تار أو بمعنى أصح هما مفكرين كده وعايزين يقتلوني وياخدوا حق ابنهم..

استمع إليه حسام يحثه على الإسترسال؛ فاستشعر الآخر بعض الطمأنينة وأرخى عضلاته المتصلبة دفاعًا واستأنف حديثه:

- نزلت على القاهرة واستخبيت عند ابن خالي، ابن خالي ده يبقى صاحب وائل، وفي يوم من سنة تقريبًا كان خارج معاه بالليل، ابن خالى دخل يشتري علبة سجاير من كشك على

الطريق ووائل كان واقف مستنيه برة وفجأة وفي لمح البصر جت عربية خبطت وائل وهربت..

مسح عرقه الناضح على جبهته وازدرد لعابه، وواصل من بين وجيب قلبه المرتفع:

- ابن خالي خده في تاكسي للمستشفى وكلمنى ماكنش عارف يعمل إيه ولا يتصرف ازاي، لكن حصل اللي ماكنش

عامل حسابه..

- وائل مات؟

- بالظبط يا باشا، وقتها جه بيه على البيت وخدناه دفناه وقال لي إنه مقطوع من شجرة ومالوش حد وإني لو انتحلت شخصيته هكون في أمان وإنه يعرف حد هيزور لي الأوراق الرسمية والشهادات ومحدش هيقدر يكشف إنها مزورة، هو ده اللي حصل ورحت أشتغل في جريدة تانية وفعلا محدش قدر يكشف إني مش وائل وبالنسبة لأولاد أبو ركيبة هاشم الجنايني اختفى ومحدش يعرف له طريق.

- وابن خالك ده هو اللي حاول يغطي عليك النهاردة وكلمك عرفك إننا بندور عليك؟

هز رأسه بقلة حيلة، بينما رفرف حسام بجفنيه بضيق وتصاعدت اللعنات وأقذع الشتائم إلى شفتيه متمتمًا بها، ها هي

جثة أخرى تضاف إلى القضية، وأخذ يمعن التفكير فيما قاله ذلك وائل المزيف، هذا يعنى أنه لن يجد عنده شيئًا يفيده في قضيته لكن السؤال الأهم الذى راوده..

ترى هل كان مقتل وائل مجرد حادث أم أنه قُتل عمدًا؟

****

عاد خالد إلى قسم الشرطة بعد يوم طويل من التحري والأعمال المتلاحقة، وعلى الرغم من اقتراب الساعة من منتصف الليل إلا أنه صمم على التقاء حسام لمعرفة ما توصل إليه وإطّلاعه على نتائج التحريات كافة، وإلا لن يواتيه النوم تلك الليلة، أدى له العسكري التحية العسكرية ومن ثَم دلف إلى مكتبه وأغلق الباب، ما كاد يجلس خلف مكتبه حتى قُرع الباب وولج حسام؛ فهتف خالد بنبرة تحمل الفرح:

- تعال يا حسام!

جلس حسام وقد انبسطت أساريره متسائلًا:

- خير يا فندم، وش حضرتك بيقول إن فيه أخبار جديدة.

أشعل خالد سيجارة وهو يردد بينما كان يحملها بين شفتيه:

- فعلا.

ثم عزم عليه بسيجارة وما لبث أن تراجع متذكرًا أنه لا يدخن، أطلق الدخان من فمه قائلًا:

- قل لي الأول، عملت إيه؟

قصَّ عليه حسام ملخص مقابلته مع وكيل كلية الآداب أولًا ثم استدراجه لوائل المزيف ومعرفة أمر مقتل وائل الحقيقي؛ فعلَّق خالد:

- الموضوع أكبر مما اعتقدنا يا حسام، قلت لك من الأول، فكرتني بدور على المتاعب بنفسي.

- يظهر كده يا فندم، يعني قضية قتل كمال ولا هي انتحار ولا مجرد خصومة بين اتنين أصحاب علشان بنت، طب إيه اللي حضرتك اتوصلت له؟

ابتسم خالد بعدما أخذ نفسًا آخر من سيجارته، وقال:

- القتيل بعتنا لقتيل تاني.

اعتدل حسام في جلسته منتبهًا:

- إيه! ازاي يا فندم؟

- الموضوع كالآتي يا سيدي، اللوجو اللي كان في الصورة كان لسنتر لرسم التاتو صاحبه اسمه مصطفى الشوادفي مشهور بالدرش الكينج، المساعد بتاعه لقاه من شهر مقتول في السنتر، موتة بشعة.

قطَّب حسام حاجبيه يرجوه في التوضيح:

- لقوه منزوع منه عضوه التناسلي.

بدت أمارات الاشمئزاز على وجه حسام؛ فتابع خالد:

- ده اللي قاله البواب، لكن لسه محتاجين نعرف معلومات أكتر و دي هنعرفها من مساعد مصطفى، أنا جبت رقمه وعنوانه من محضر الشرطة اللي تابعت الجريمة.

- طب والجاني يا فندم قبضوا عليه؟

- إيه السؤال ده يا عم حسام، ما تفوق شوية!

أشار حسام بيده متأسفًا وأردف:

- أكيد مالقوش أي أدلة واتأيدت القضية ضد مجهول.. دي عملية انتقام متسلسل بقا.

- بالظبط. قال خالد ماعسًا سيجارته في المنفضة، ثم أضاف:

- واضح إن فيه رابط بين كمال ومصطفى ووائل.. وفرح.

فعقب حسام:

- وعز كان كبش الفداء، مين عارف جايز الأربعة كانوا في شبكة دعارة وحصل خلاف بينهم.

- جايز بس ده احتمال ضعيف يعني فرح ماتت أو انتحرت أو "اتقتلت" من 6 سنين وحط تحت اتقتلت دي مية خط، إيه اللي جد دلوقتي علشان الاتنين دول يتقتلوا في شهر ومن قبلهم وائل

(ده لو كان اتقتل) ومين اللي عليه الدور زي ما كمال قال في رسالته؟

- جايز كان ليهم شريك مثلا علِّموا عليه وقرر ينتقم منهم أو...

- أو! هي دي، إن اللي قتل مصطفي وكمال ووائل يكون بينتقم لفرح، و ده يفسر الشكل اللي اتقتل بيه مصطفى، احتمال كبير يكون هو اللي كان معاها في الفيديو، أما كمال وارد جدا يكون هو اللي صور الفيديو، ده اللي هنعرفه اكتر لما نتفرج على الفيديو.

- بس هنوصل له ازاي يا فندم واللي كان محتمل يكون معاه نسخة منه مات.

- عيب عليك يا حضرة الظابط والله، معقول مش هنعرف نجيب حتة فيديو زي ده كان مغرق السوشيال ميديا وقتها؟

أنهى خالد عبارته بضحكة ساخرة، وأخرج من درج مكتبه رقاقة إلكترونية وأوصلها بالحاسوب خاصته، ومن ثم راحا يشاهداه بتمعن وتمحيص.

أوقف خالد الفيديو عند أحد المشاهد وأعاده إلى دقائق قليلة سابقة، ثم شغله مرة أخرى حتى عاد إلى نفس اللقطة وأوقفه قائلا:

- لو لاحظت يا حسام الفيديو ماكنش متصور بكاميرا ثابتة، ده تصوير احترافي متقصد إنه مايظهرش صورة الشاب اللي معاها واتعمل له مونتاج كمان ده غير ظل استاند الكاميرا والمصور على الحائط اللي وراهم وده ينفي فكرة شبكة الدعارة.. الواضح إن فرح كانت ضحية.

****

صباح جديد ينشر خيوط الأمل على تلك الحارة الشعبية في حي بولاق، أرض متعرجة ومنازل على وشك السقوط أو ربما توحي هيئتها بذلك، مغطاة بعض نوافذها بملاءات الأسِرَّة عوضًا عن الستائر، ويتصدر حبالها الملابس الداخلية البيضاء للرجال، ضجيج منبعث من ميكروفون عربة خضراوات يجرها حمار منهك يسعى صاحبها للارتزاق بقوت يومه، ودوي مهرجان شعبي منبعث من مكبر صوت لمحل بيع الهواتف الذكية والحواسيب المستعملة، بينما يساورهم صوت ميخا صبي القهوة هاتفًا بطلبات الزبائن، حالما أشار له شاب وافد على القهوة، متوسط القامة، أسمر البشرة ذو لحية على وشك الإنبات وشعر قصير، هاتفًا:

- واحد سكلانس يا ميخا.. صباح الفل يا عم دسوقي!

-استكانة ولا خمسينة؟

- خمسينة يا عم ياللا!

"وعندك واحد سكلانس خمسينة للكينج "

قالها ميخا للصبي الآخر؛ فأردف سامح:

- ما بلاش الكينج دي، افتكر لنا حاجة عدلة على الصبح، الله يحرقك.

- بنفخمك يا عم سامح.

- لا ياخويا متشكرين.. الله لا يقدر! همهم بضجر.

وطأ خالد وحسام الحارة بحثًا عن مساعد مصطفى، توقفا أمام محل بقالة صغير يجثم به رجل عجوز ذو عوينات سميكة يقرأ جرنال أخبار اليوم وقد بدا على وجهه السأم، ربما لم يجد من الأخبار ما يسترعي انتباهه أو ربما يُظهر معارضته لأمرٍ ما.

- سلام عليكم يا حاج! قال خالد.

- وعليكم السلام يا ابني اتفضل!

- ماتعرفش فين بيت سامح عطوة يا حاج.

نهض العجوز مطأطأ الرأس محدودب الظهر حتما وصل عتبة دكانه وأشار لهما على أحد المنازل المقابلة مقرًّا:

- هو ده يا ابني، بس سامح قاعد على القهوة هناك أهو.

- تسلم يا حجيجة.

وبينما كان يجرع سامح أول رشفة من قدح الشاي خاصته، أخذ خالد وحسام كرسيان من طاولتين على جانبي طاولة سامح وانضما خالد إليه مطبقين الإحكام عليه وسيماهما لا تبشران بخير مما راع سامح؛ فحاول النهوض عبثًا صائحًا:

- إيه ده فيه إيه أنتوا مين؟

إلا أن خالد هتف بنبرة تميل للسخرية:

- اتنين قهوة سادة يا ابني.

فكرر ميخا:

- اتنين قهوة سادة للبشوات على روح المرحوم.

ابتسم خالد ساخرًا يردد:

- المرحووووم! ذكي الولد ده ما شاء الله يا حسام.

- مرحوم مين! انبس من بين شفتي سامح المرتجفتين؛ فأردف حسام:

- بس على الله يا باشا صاحبنا يكون ذكي زيه.

- لا لا ما تقلقش هو نبيه وهيترجم الوضع كويس ولا إيه يا عم سامح.

حاول سامح الهرب إلا أن حسام أجلسه بعنف؛ فقال خالد من بين أسنانه:

- اسمع يالاه بهدوء كده وبدون شوشرة، كل اللي هنسألك عليه هتجاوبه من غير ما تفكر تجوّد ولا تكذب، فاهم!

هتف بقلة حيلة:

- أيوا يعني أنتوا مين؟

- مباحث يا روح أمك. أجابه حسام، فشحب لونه أكثر وامتقع وجهه صارخًا:

- بس أنا قلت قبل كده في المحضر إني معرفش حاجة، والقضية اتقفلت عايزين مني إيه تاني، الله يلعنه مطرح ما راح.

- واضح إنك كنت بتحبه أوي. علق حسام ساخرًا.

- وهو الله يرحمه مين كان بيطيق يسمع سيرته، الله يخليك يا باشا أنا مش بتاع مشاكل، كان يوم أغبر يوم ما فكرت أشتغل عنده.

قال خالد بحدة:

- شوف يا ابني، كل اللي أنت قلته في المحضر ما يخصنيش، اللي أنا عايز أعرفه منك هتقوله لي بكل وضوح سامع؟ فيه اتنين اتقتلوا غير مصطفى والرابع في الطريق، حلول المهزلة دي عندك أنت، هترد بالذوق كان بها غير كده هناخدك عندنا نعمل معاك الواجب وهتجاوب بردو.

- لا لا وعلى إيه يا باشا، هجاوبكوا على كل اللي أنتوا عايزينه بس تعالوا نطلع الشقة، الكلام ده ماينفعش هنا.

تبادل خالد وحسام نظرات الريبة، في حين قال خالد:

- ياللا ياخويا.

نهض سامح متنفسًا الصعداء صائحًا:

- سُك على القهوة يا ميخا.. هعمل لكم فنجانين من إيدي يا باشا أحسن من قهوة الواد المعفن ده البن بتاعه مغشوش...

أخذ يثرثر وهما يتبعانه إلى بيته، كان بيته في الطابق الأول يبدو عليه القِدم، دلفا وهما يجوبانه بعينيهما بحذر، أجلسهما حول طاولة الطعام إذ كانت الأريكة الوحيدة في الصالة مكسورٌ قدمها، ودخل يصيح:

- ياماااه..أماااه!..

بعد مرور دقائق، أحضر سامح فنجانين من القهوة ووضعهما على الطاولة حالما كان خالد يتفقد المنزل بعينيه:

- أحلى فنجانين بقا من إيد ست الحبايب.

سحب خالد نفسًا من سيجارته وأخرجه يلاحقه برشفة من البن، ثم قال:

- ها قل لي بقا.

- اؤمر يا باشا.

- أنت هتصيع يالاه؟ عايز أعرف كل كبيرة وصغيرة قُلتها وماقُلتهاش في التحقيق.

- عنيا يا باشا من غير عصبية هقول كل حاجة.. شوف يا باشا، اللي حصل بدأ من ليلة الحادثة أو بمعنى أصح الليلية اللي قبل اكتشاف الحادثة، ليه بقا؟!

رمقه خالد بنفاد صبر:

- ليه يا فِتك؟

- علشان مصطفى كالعادة جري ورا النجاسة ورَوحني بدري، كان جايله زبونة.

- زبونة من أنهي نوع يعني؟ سأله حسام.

- هي كانت حاجزة جلسة رسم تاتو بس هو بقا كان مظبط الدنيا وشموع وبتاع يعني كانت ليلة حمراء لا مؤاخذة.

- امم والزبونة دي كان اسمها إيه وحجزت إزاي؟ تساءل خالد وهو يئد سيجارته.

- لا مش فاكر اسمها بس هو كان حاجة كده من الأسماء الجديدة اللي مابتتحفظش وحجزت بالتليفون.

- وبعدين؟

- ولا قبلين يا باشا، رحت الصبح أفتح السنتر، كان المكان هادي و مفيش أي صوت دخلت بفتح باب الأوضة اللي بيتعمل فيها جلسات الوشم لقيته مرمي على الأرض سايح في دمه ولا مؤاخذة ميت بالطريقة اللي عرفتوها، بلغت البوليس وبس هو ده كل اللي حصل.

- لا بالراحة يا عم سامح، الكلام ده مش معايا.

- أحلف لك بإيه يا باشا إن هو ده كل اللي حصل.

- ششش قالوا للحرامي احلف، وفر حلفانتك وقل لي، مين هما معارف مصطفي القريبين منه أو اللي شفتهم معاه كذا مرة خارج نطاق الشغل يعني؟

- اا.. والله يا باشا هما معظمهم ستات الله يرحمه ماكنش بيحب صحبة الرجالة، أي مكان فيه نسوان هتلاقيه فيه، ومكانش ليه أصحاب قريبين ياكش هو واحد شغال جارسون في كباريه في شارع الهرم بيظبط له الدنيا هناك، كان اسمه اا... آه مليجي!

ثم تفكر قليلًا وكأن أمرًا داهم ذاكرته بغتة؛ فانتبه له خالد وحسام يقدمان بجزعهما إلى الأمام، في حين هتف سامح:

- أيوا افتكرت يا باشا وكان فيه واحد كده كان بيجيله زمان بس قطع فترة وجاله قبل الحادثة بكام يوم في الأول اتكلموا شوية وبعدين الأمر بدأ يقلب خناق وقتها مصطفى بعتني أجيب حاجة

من البقالة بمعنى أصح كان بيوزعني ماكنش عايزني أسمع اللي بيقولوه بس اا..

- بس أنت وقفت برة واتصنت عليهم. قال خالد.

- بالظبط يا باشا ماقدرتش أسيطر على فضولي، خصلة هباب بعيد عنك، سمعت التاني وعلى ما أعتقد كان اسمه جمال..

قاطعه حسام منتبهًا:

- تقصد كمال!

- ممكن يا باشا ماركزتش أوي بس اللي خرم ودني ساعتها صوته وهو بيقول لمصطفى "الراجل راجع بعد السنين دي كلها ينتقم بيهددنا وقريب مننا لدرجة عارف كل تحركاتنا، أنا أستاهل إني مشيت ورا واحد زيك من البداية علشان شوية ملاليم وهو فين اللي كان السبب في كل ده، سايبنا إحنا نغرق وهو في الأمان؟"

- أيوا! هتف خالد متحمسًا. مين هو بقا الشخص التالت ده؟

- مالحقتش أسمع يا باشا، فيه قطة بنت حرام زاولتني على السلم فحسُّوا بيا، خدت ديلي في سناني وفلَّقت يا باشا.

- أنت هتستعبط يالاه؟

- والختمة الشريفة ده الله حصل يا باشا، على رأي االمثل "من جاور الحداد، انكوى بناره"

داعب خالد ذقنه بتؤدة وأمعن النظر به مما أثار ارتباك سامح؛ فحمحم مراوغًا بحدقتيه مثل الثعلب، بينما سمع خالد يقول:

- ياللا بينا يا حسام.

نهض سامح لتوديعهما، وحالما كانوا على عتبة بوابة المنزل الصدئة البالية، التفت إليه خالد وقال بلهجة تحذيرية مشددًا على كل كلمة تخرج من حنكه:

- لو عرفت إن فيه حاجة خبيتها ومقولتهاش، أوعدك مش هتشوف الأسفلت تاني.

تردد شبح ابتسامة على شفتيه متمتمًا:

- أصلي يا باشا!

أطلق زفرة ارتياح حالما غادرا، وما إن تأكد من اختفائهما عن ناظريه، أخرج هاتفه من جيب بنطاله الخلفي واتصل برقم ووقف يحك ذقنه بقلق منتظرًا الإجابة:

- أفندم، أنت مش خدت اللي اتفقنا عليه؟ هتفضل كل شوية تنط لي ولا إيه؟

- لا ده كان حساب قديم، إنما بعد الظباط اللي طبوا عليا النهاردة زي القضاء المستعجل ودخلت سين وجيم بقا فيها حساب تاني.

- بتقول ظباط! ليه والقضية اتقفلت.

- لا ماينفعش الكلام على التليفون، ده نتكلم فيه وش لوش، وآه بالمناسبة.. المرة دي هاخد ضعف المبلغ اللي فات وكاش..سلام.

****

اتجه خالد وحسام نحو السيارة وبيد أن حسام كان فكره مشغولًا يحاول ربط خيوط القضية للعثور على الفاعل إلا أنه وعلى الرغم من ذكائه لم يتمكن من الحصول على ما يفيد، تطلع إلى خالد والذي طغى الغموض على ملامحه ما جعل حسام يتجاذب معه الحديث:

- ماطلعناش بمعلومة مفيدة من سامح ده كمان.

- مين قال؟

التفت نحوه حسام في اهتمام؛ فاستطرد خالد:

- أول حاجة نظريتنا إن القاتل واحد شبه اتأكدت نظريًا مش ناقص غير التأكيد المادي، تاني حاجة عرفنا إن كمال ومصطفى قاموا بعمل غير مشروع وفيه شخص تالت بيطاردهم بهدف الانتقام وده بيأكد وجهة نظري إن فرح كانت ضحية وإن اللي بينتقم ده يخصها.

- بس يا ترى مين هو يا فندم، حسب تحرياتنا أبوها مات ومالهاش أخوات وماكنتش مخطوبة وماعتقدش حد من قرايبها

بعد السنين دي يعمل كده ومن الواضح إنه شخص هما عارفينه.

- ممكن مايبقاش حد من قاريبها يا حسام، مين عارف يمكن كان ليها حبيب وقت ما ده حصل بس الغريب هو فكرة انتقامه بعد السنين دي كلها.

- فعلا يا فندم، بس سامح قال إن ليلة الحادثة لما مصطفى مشاه كان منتظر ست مش راجل.

- لا دي كانت حيلة يا حسام لأن تقرير الطبيب الشرعي بيأكد إن القاتل كان راجل مش ست وكان...

توقف خالد عن الاسترسال بغتة وراحت مقلتاه تدور في محجريها بارتياب يفكر في أمر بدا في غاية الجدية

- فيه حاجة يافندم؟

سأله حسام متحمسًا وقلقًا في الوقت ذاته إلا أن خالد لم يرد بل إنه شغل محرك سيارته وانطلق بها إلى المستشفى بعدما أوكل حسام بالبحث عن ذلك الجارسون مليجي .

****

انتابته موجة عارمة من الإثارة، لم يشعر خالد بذلك الحماس منذ فترة طويلة، إذ عادة ما تكون القضايا سهلة أو ليست بذلك الغموض الذي يحرك حواسه كافة خلف كشف الستار عن

طريدته الخفية، وعلى الرغم من عصبيته المفرطة في تلك الحالة خشية ألا يستطيع الإمساك بالمجرم الحقيقي والضغط من قاداته إلا أنه يشعر بتلذذ عجيب وتنشط خلايا عقله الرمادية كما كان يدعي المحقق هيركيول بوارو ذلك الشخصية الخيالية الفريدة من نوعها التي ابتدعتها وأبدعت فيها الروائية الشهيرة أجاثا كريستي، وصل خالد المشفى وصعد رأسًا إلى مكتب صديقه الطبيب يوسف ولحسن حظه كان قد وصل لتوه حتى أنه لم يصل مكتبه بعد؛ فكان أمامه على بعد خطوات منه فنادى عليه، التفت يوسف ورحب به متفاجئًا، ثم استطرد:

- إيه يا خالد باشا فيه جثة تانية ولا إيه؟

- ماتسألش! ده أنا وقعت في خمس قُتلة لحد دلوقتي بس مش ده اللي جايلك علشانه.

ارتسمت ملامح الجدية على محياه متسائلًا:

- خير؟

- خلصت التقرير بتاع عز؟

- حلمك عليا شوية يا عم خالد، وعلى العموم هحاول أخلصه بأقصى سرعة وأبتعهولك.

- طيب، محتاج أسالك على حاجة بس تكون إجابتك أكيدة هينفع؟

- لو حاجة ظاهرية تمام مفيش مانع.

- وإحنا في مسرح الجريمة قلت في الغالب اللي قتل عز كان أعسر.

- آه فعلا.

- ده احتمال ولا أكيد؟

ربت يوسف على كتفه وقال:

- طب تعال ندخل المكتب ونتكلم مش هنفضل واقفين كده!

في مكتب يوسف، جلس خالد منتظرًا إجابة يوسف الذي حلس خلف مكتبه وسأله:

- تشرب إيه؟

- يا عم يوسف أنا مش جاي أتضايف، عايزك بس تجاوبني على سؤالي، انت مش فاهم إجابتك ممكن تشقلب لي القضية ازاي!

- كان الله في العون!

أخذه ودخل به المشرحة حيث يرقد عز على طاولة مستطيلة ومغطى بملاءة بيضاء، كشف يوسف عن جسده حتى منطقة الطعنات

-بص يا سيدي زي ما أنت شفت طعنات عز كانوا تلاتة الأولى تحت سُرته والثانية عند كليته اليمنى والثالثة في قلبه، علشان نعرف بقا إذا كان الجاني أعسر ولا أيمن، بيكون عندنا شوية اعتبارات، زي مثلا وضعية القتل من الأمام ولا الخلف؟ السلاح المستخدم له كم جهة حادة؟ في حالتنا هنا السلاح المستخدم قرن غزال وده زي ما أنت عارف له جهة حادة واحدة، كمان الزاوية الحادة في الجرح تشير الي الجهة الحادة في السلاح وطبعًا الاحتمالين واردين، يعني ممكن الجهة الحادة في اتجاه إيدي تكون لبره أو جوه وأنا بطعن.

بس بفرض قرن الغزال وأنا بفتحه، الجهة الحادة هتكون جوه وده أولاً أقدر أحدد بيها يمين ولا شمال اليد المستخدمة..

يعني لو استخدمت إيدي اليمين كجاني كده الزاوية الحادة من الجرح في المجني عليه هتكون جهة اليمين، لكن في حالتنا العكس هو اللي حاصل.

كمان السلاح نفسه عمل سحجة على حواف الجرح أسفل السُرة، لأن الطعنة كانت بعنف وبقوة وده بيساعد معايا أحدد يمين ولا شمال وأتعرف على السلاح كمان.. ومن هنا بأكد لك إن الجاني كان أعسر.. أي بيستخدم إيده الشمال بدون شك.

- بدون شك؟! قال خالد بخيبة أمل.

- أيوا بدون شك.

- على بركة الله.

****

دخل خالد مكتبه في عجلة ومن خلفه حسام لا يفقه سبب لهفته، بينما توجه خالد إلى درج مكتبه رأسًا باحثًا في عدة ملفات، أخرج أحدهم، جلس خلف مكتبه وفتح الملف ثم استخرج منه ورقتين وأخذ يمحصهما بتركيز كامل قبل أن يطرقهما باصبعه يائسًا وأطبقهما كمدًا؛ فطالعه حسام بحيرة مستخبرًا:

- إيه اللي حصل يا فندم؟ واضح إن فيه حاجة فَيتاني.

- الحقيقة مش عارف إزاي فاتتني أنا كمان!

- خير يا خالد بيه؟

- كلمة واحدة يا حسام قلبت الموازين..

تنهد بيأس ثم استأنف:

- دول تقريري الطب الشرعي واحد بتاع كمال والتاني بتاع مصطفى.

- تمام وبعدين إيه اللي ماخدناش بالنا منه؟

- قاتل كمال ومصطفى بيستخدم ايده اليمين، أما قاتل عز أعسر بيستخدم ايده الشمال.

صعق حسام لما سمع بينما علق خالد:

- ولأننا كنا متأكدين إن القاتل واحد فوتنا تفصيلة مهمة زي دي أو بمعنى أصح مادتش اهتمام لكلام يوسف فكرته هيغير كلامه في التقرير لما يتأكد من تشريح الجثة.. كده مابقاش عندنا قاتل واحد.

- لغز جديد اتضاف للقضية، معنى كده يا فندم إن ممكن يكون قاتل عز مالوش علاقة بقضية كمال ومصطفى والتوقيت كان مجرد صدفة.

- صعب الكلام ده يا حسام يعني إيه اتنين يتقتلوا في نفس العمارة وفي نفس الوقت وكل واحد من قاتل مختلف ويكون الجريمتين صدفة ومالهمش علاقة ببعض، فيه حاجة غلط، أو ربما يكون قاتل كمال كان معاه حد تاني وهو اللي هاجم عز.

- جايز يا فندم بس بشهادة البواب اللي دخل العمارة كان شخص واحد.

ران عليهما الصمت برهة، ثم استطرد:

- حضرتك كان عندك حق لما فكرت نبحث ورا عز.

- بصراحة كلام وكيل النيابة خلاني شاكك في أمره، بس على الله نطلع بمعلومة مفيدة.

في تلك الأثناء دلف التقني ومد ملفًا إلى خالد بالإضافة إلى هاتف عز وأردف:

- اتفضل يا فندم! الملف ده فيه تفريغ لرسايل المجني عليه بالإضافة لآخر مكالماته وتوقيتاتها، والمعلومات الكاملة عن البنت اللي معاه في الصور.

أخذ منه خالد الملف شاكرًا وشرع في تفقده، علم أن الفتاة معه بالصور تدعى "وعد محمود مخلوف"، ابنة المستشار محمود مخلوف وصاحب مكتب المحاماة الذي يعمل به عز، ارتفع حاجبه مستكملًا فحص المعلومات، المكالمات تنحصر في وعد ووالده وأخيه وزميله في العمل وبعض عملائه ليس بها أمر غريب إلا تلك التفصيلة التى جعلته يتوقف عندها قليلًا وهي أنه قبل أن يقع منه الهاتف أثناء اشتباكه مع القاتل كان ينتوي أن يتصل بأحدهم لكنه لم يكتب الرقم كاملًا بل فقط "011206" وأُغلقت الشاشة على ذلك، يبدو أنه قد لاحظ القاتل في تلك اللحظة واشتبك معه؛ فسقط الهاتف بعيدًا، هنا صمت خالد متفكرًا، يتساءل في داخله إذا كان عز يريد الاتصال بأحد، لمَ يحفظ رقمه بذاكرته عوضًا عن حفظه في ذاكرة الهاتف؟!

انتقل بعد ذلك إلى فحص رسائل الهاتف والواتساب لكنه لم يجدها ذات جدوى، وهنا قرر زيارة شخص قد يمده بأي معلومة إضافية من شأنها أن تدفع سير تحرياته.

"عند قول الحقيقة ليس عليك أن تتذكر أي شيء"

مارك توين

6

استقبل نادر -الأخ الأصغر لوعد- خالد وحسام في منزله، إذ بادرا بزيارة وعد لأخذ أقوالها، بدا المنزل ساكنًا هادئًا وكأنما هجره ساكنيه رغم أناقته الآسرة للأنظار، لكن هناك موجة عارمة من الطاقة السلبية القاتلة تلُفُّه بشكل مقبض، وبينما كان نادر يرشدهما إلى وعد الرابضة في حديقة المنزل بلا حراك، أوضح لهما:

- ممكن ماتقدروش تتكلموا معاها، لأنها من ساعة ما عرفت الخبر وهي في حالة صدمة، ولا بتاكل ولا بتشرب ولا نطقت بكلمة واحدة حتى، مابتعملش حاجة غير إنها قاعدة لوحدها ودموعها بتنزل؛ فأرجوكم ماتضغطوش عليها.

أومأ خالد متفهمًا وأكد عليه ألا يقلق، بينما اتجها هما نحو وعد وحسام يتمتم:

- شغلنا صعب.

- مجبورين. هكذا رد خالد باقتضاب.

كانت حالتها أسوأ مما توقعا، فهي لا تعدو كونها أحد التماثيل الشبيهة لتلك التي تزين المنزل، جسد ساكن متشح باللون الأسود، ووجه شاحب مُصفر غارق في الدموع، ذلك الأمر

الوحيد الذي يخبر بأنها مازالت على قيد الحياة، لم تعرهما انتباهًا؛ فحمحم خالد قائلًا:

- صباح الخير يا آنسة وعد.

لم تصله إجابة؛ فلم يهتم وجلس على المقعد بجانبها، ثم أردف:

- آنسة وعد! أنا عارف إنه صعب وإن الوقت مش مناسب بس صدقيني كل ده علشان نجيب حق عز.. أقصد مراد.

هنا انتبهت لحديثه وكأن غصة بصدرها آلمتها، أغلقت عينيها وزادت في دمعها بحسرة وقلب مفطور؛ فتبادل خالد وحسام النظرات وبينما كانا على وشك اليأس والاستعداد للمغادرة، فاجأتهما وعد بحديثها:

- اتفضل، عايز تعرف إيه؟

- إيه كانت طبيعة العلاقة بينك وبين المجني عليه؟

بدا وكأن تلك الكلمة الأخيرة زادت ملحًا على الجرح؛ فبان الألم على ملامحها، ثم قالت:

- أنا ومراد كنا أصحاب من أيام الجامعة، كنا بنحب بعض، وبعد الجامعة حصل بيننا خلافات سبنا بعض لحد ما قابلته في مكتب بابا من سنة، كان بدأ شغل عنده ورجعنا نتكلم تاني وكنا هنتخطب رسمي أول الشهر الجاي.

هز خالد رأسه متفهمًا طبيعة العلاقة المطولة قبل أخذ خطوة رسمية وما يتبعها من مشكلات وخلافات إذ كان هو وزوجته خير مثال، لكنه تجاوز ذلك كله وقرر سؤالها:

- طب الأستاذ مراد، ماكانش له أعداء الفترة الأخير؟

- مستحيل، مراد كان إنسان طيب جدًا وكلاسيكي، الناس كلها بتحبه وما بيتأخرش عن حد يطلب مساعدته، مالوش في المشاكل.

- طب مثلا حد كان ماسك له قضية أو حد بيدافع ضده؟

هزت رأسها معقبة:

- معرفش، ماقاليش حاجة زي كده.. هو حضرتك شاكك إن حد كان قاصد يقتله؟

- بصراحة لا، هو الواضح قدامنا إنه لسوء الحظ اتواجه مع القاتل بعد ما قتل جاره اللي فوقه فقرر يتخلص منه علشان مايعترفش عليه.

أومأت بعينيها متفهمة؛ فاستطرد:

- طب يا آنسة وعد دلوقتي هوريكي أرقام هي جزء من نمرة تليفون، كانت آخر حاجة لقيناها على تليفون مراد قبل ما يتقتل، لو تعرفي ده ممكن يكون رقم مين قولي لي.

هزت رأسها بوهن؛ فأخرج ورقة كتبت بها الأرقام وعرضها عليها، لم تبد أية ردة فعل وسرعان ما هزت رأسها ثانية بالسلب قائلة:

- مش عارفة، في الغالب أنا مش بحفظ أرقام تليفونات ..

زادت في بكائها؛ فلاحقها خالد بسؤاله الأخير:

- آخر سؤال، هل كان عندك علم مين اللي كان جاي يسكن معاه يوم وقوع الجريمة؟

- هزت رأسها نافية وقالت بصوتها المبحوح:

- أنا ماكنتش أعرف إنه واخد الشقة دي أصلاً.

- معقولة! ازاي؟

رفعت كتفيها ثم تهدلا بيأس، تعجب خالد لبرهة ثم نهض هو وحسام قائلًا:

- شكرًا يا آنسة وعد وآسفين على الإزعاج.

لم تكلف وعد نفسها عناء الرد، وعادت إلى وضعيتها التمثالية مطلقة العنان لدموعها الساخنة تلهب وجنتيها.

****

ملهي ليلي قائم بموقع متفرد بشارع الهرم، يقف أمامه خنزيران أصلعان متينا البنية لحراسته وإدخال الزبائن

وتفنيدهم، تتراص سيارات شتَّى، الفخمة منها والشعبية بينما يسرع السائس لركنهم وتلميعهم كي يحظى ببعض الجنيهات التي تُنفق الآلاف منها بالداخل، أضوية مختلطة تتراقص متبخترة، ساقطةٌ إنعكاساتها على مانيكان الراقصة نجمة الليلة وعلى الأسفلت مداعبة خشونته، أوقف خالد وحسام أحد الخنزيران وسألهما أن يرى هويتيهما؛ فقد ارتاب في هيئتهما وأسلوبهما وملامحهما الجافة التي لا تلوح بأنهما آتيان طالبان للذة بالإضافة إلى سيرهما الذي يطغى عليهما الانضباط العسكري، لكنهم اعتنيا به على طريقتهما الخاصة.

في الداخل، ضجَّ المكان بأصوات المعازف الصاخبة والأغاني الشعبية يؤديها ذلك المطرب البهلواني يجاري في حركته إيقاع الراقصة، تلك معبودة الجماهير في بدلة رقصها التي تفضح أكثر مما تستر، وإن كان في الحقيقة وعلى الرغم من الجماهير الغفيرة التي أتت خصيصًا لأجلها، إلا أن رقصها كان مثيرًا للاشمئزاز لم يكن لينطوي على أي فن بل تعتمد به على اهتزاز جسدها بهدف إثارة غرائز هؤلاء الثيران الذين يشاهدونها فتكون بمثابة دعوة لينهضوا ويغدقونها بالأموال، بالإضافة إلى تلكن صغار الراقصات يتمايلن كمن بهن علّة بجوار طاولات الزبائن السُكارى، ينفثون رائحة الخمر من أفواههم ويتراقصون ويصفقون ويضحكون، أجواء شيطانية زاخرة بالملذات المحرمة..

ظهر من بين ذلك الصخب شاب نحيل ذو أنف أجدع ووجه طويل جوفاء عظام خديه، وعينين يلوح بهما الغباء، وشعر يلمع بشكل عجيب مستخدمًا لتثبيته جل شعر رخيص، وفم واسع ينسال منه اللغط والعربدة، مرتديًا زي الجرسون متمثلًا في قميص أبيض وبنطال اسود وربطة عنق على شكل فيونكة، يحمل بين يديه ألوان الشراب، ويقدمها للزبائن يهتف وهو يمر بينهم:

- يا سلام عليكِ أنوسة هو ده.. شيخ العرب حياك الله نورت مصر كلها.. أفندينا منور، خلي بالك من الباشا يا بت يا زوزة..

لم يلبث ينتهي من غوغائه ولغطه حتى استدار ليجد نفسه في مواجهة ليثين يرتقبان فريستهما، حدق فيهما ببلاهة وفاه كاد تظهر حنجرته من اتساعه، بالكاد ازدرد لعابه وقال:

- اؤمروا يا بشوات..عايزين ترابيزة؟ عنيا هظبطهالكم حالا، حاجة من الآخر يعني..يا أفيوونة!

قاطعه خالد لاعقًا شدقه محاولًا ألا يتعصب، إذ بدأت الأجواء حوله توتره بالفعل:

- لا إحنا عايزينك أنت يا مليجي.

- أنا يا باشا؟ مين حضراتكم وعايزيني في إيه؟

- مباحث يا حبيبي، وعايزينك بخصوص قتل صاحبك مصطفى.

رد بمسكنة:

- آه، يا حبيبي يا مصطفى.. الله يرحمه يا باشا، فيه جديد حصل ولا إيه؟

رد حسام وهو يربت بكفه على جانب عنقه كنوع من الترهيب:

- عايزين نعرف علاقة مصطفى بكمال راغب مصور الفوتوغرافيا وفرح البنت اللي انتحرت من ست سنين.

تلجلج مليجي مراوغًا:

- بس أنا معرفش حاجة عن الناس دي يا باشا و..

صاح به خالد ضجرًا يمسكه من تلابيبه:

- ولاه ماتصيعش علينا، إحنا عارفين إنك كنت بير أسراره، فبلاش شغل التلات ورقات ده أحسن لك، أنا لحد دلوقتي بتكلم بس ولا تحب تشوف الوش التاني!

انكمشت رقبة مليجي في صدره كالدجاجة مغمغمًا بخوف:

- لا لا وعلى إيه يا باشا، اتفضل معايا نقعد في حتة هادية وهقول لحضرتك كل اللي أعرفه.

على إحدى الطاولات البعيدة نسبيًا عن الضوضاء التي يعج بها المكان، جلسوا ثلاثتهم وأعاد خالد على مليجي السؤال لكن بنبرة أكثر حدية:

- قول لي يا مليجي إيه علاقة مصطفى بفرح؟

سكت مليجي لحظة يفكر، ويعيد ترتيب كلامه برأسه لئلا يوقع نفسه في المهالك؛ فلاحقه حسام:

- ولاه، ماتفكرش كتير في الكدبة اللي هتقولها أحسن لك تنطق بالحقيقة يا إما...

- مش بكدب يا باشا بس.. الحكاية دي عدا عليها سنين، مصطفى يا بشوات كان قواد انترنت، يعني كان بيصطاد بنات شمال أو يبتز بنات بحاجات ماسكها عليهم ويجبرهم يتكلموا مع رجالة على النت أو يصورهم صور وفيديوهات لا مؤاخذة ويبيعها على المواقع إياها.

سأله خالد:

- وفرح كانت بنت من دول؟

- الشهادة لله لأ يا باشا، دي كانت بنت غلبانة حد زقه عليها علشان يأذيها والبت زغللت عينيه وحب يطلع من وراها بمصلحة ويبتزها لحد ما جالنا في يوم خبر انتحارها.

- ومين اللي زق مصطفى عليها؟

- مش عارف يا باشا.

لعق خالد شدقيه ومسح وجهه بكفه إشارة عن نفاد صبره وتوعده؛ فلاحقه مليجي:

- وعرش ربنا يا باشا ما أعرف، مصطفى ماكنش بيحكي لي التفاصيل دي، كل اللي أعرفه إنها كانت واحدة ست.

- واحدة ست! ردد خالد ضاغطًا على كلماته، ثم قال:

- تقصد بنت يعني ولا ست كبيرة او متجوزة؟

- لا يا باشا بيتهيألي إنها بنت معرفش بقا اتجوزت دلوقتي ولا إيه!

- طب وكمال راغب؟

- كمال كان شريكه يا باشا هو اللي كان بيلقط الصور والتسجيلات، ومصطفي ينزلهم ع النت ويقبض ويتقاسموا لحد ما جه كمال وقال إنه هيبطل، مصطفى وقتها اتحايل عليه لكن ماخدش معاه لا حق ولا باطل وقطعوا كلام من ساعتها لحد قبل سنة..

- إيه اللي حصل من سنة؟

بلل مليجي شفتيه وأردف:

- كان فيه صحفي اسمه وائل كان نزل خبر عن الفيديو اللي صوره كمال لمصطفى مع فرح، الصحفي ده كان فيه حد بيكلمه ويبعتله رسايل تهديد كان معيشه في رعب يا باشا لدرجة الراجل يا ولداه كان قرب يتجنن واتخانق مع مصطفى وكمال وبعدها بكام يوم سمعنا خبر موته في حادثة، لكن أقطع دراعي إما كانت حادثة مقصودة.

استنتج خالد بديهيًا:

- وطبعا بعدها مصطفى وكمال عاشوا في نفس الرعب؟

- كلمة رعب دي كانت قليلة عليهم يا باشا، لكن مع مرور الأيام نسيوا الموضوع وماظهرش حد في الصورة إلا من شهرين، مصطفى وكمال بقا يجيلهم مكالمات تهديد وكأن فيه حد مراقبهم لحظة بلحظة.

تناوب حسام السؤال هاته المرة متلهفًا:

- طب وبيهددهم بإيه أو بيقول لهم إيه؟ جاب سيرة فرح؟

- لا يا باشا كان كلام كله غامض وبيهددهم إن نهايتهم قربت وهتكون نهاية يستحقوها.. وبعدها لقوا مصطفى مقتول.

- طب ومين اللي وصل فيديو فرح ده لوائل علشان ينشره؟

أجابه خالد:

- دي محتاجة سؤال يا حسام؟ أكيد الشخص اللي زق عليها مصطفى.. السؤال الأهم بقا مين اللي مسح كل ده من النت واضح إنه حد له كلمة!

****

بعد مرور أسبوع من حادثة كمال، وفي صباح جديد، انجلى الظلام وبسطت الشمس نورها باعثة على أمل جديد، قامت سارة بأداء طقسها اليومي الذي تقوم به منذ خمسة أيام باستمرار دون انقطاع؛ فتذهب يوميًا إلى المنطقة التي يسكن بها أحمد وتمشطها بالكامل، تُمنِّي نفسها أن تحصل على أي دليل يثبت وجود أحمد في منزله وقت وقوع الجريمة، تبحث عن كاميرات مراقبة لمحال تجارية أو تتحدث مع الجيران، لكن لم يكن مردَّ كل ذلك ذا نفع، وعلى الرغم من معرفتها بأن طريقها هذا غير مكفول النتائج وارتياب سكان المنطقة بها إلا أنها لم تتوان أو تعدل عن خطة بحثها، لكن هذه المرة أصابها اليأس، الوقت يمر سريعًا وفرصتها في إثبات براءة أحمد ونيل مسامحته على وشك أن تفقدها.

حاولت التفكير في حل إلا أنها لم تعثر عليه؛ فجرَّت أذيال الخيبة وعزمت أمرها إلى زيارة من يمكنه مساعدتها، هذا إن رغب.

أتى العسكري بأحمد مقيَّدًا بالأصفاد ودخل به مكتب الضابط، وقعت عيناه على سارة، استشف القلق المحلق بها لكنه لم يبد

أية ردة فعل بل أعرض عن مقابلتها؛ فترجته، ومن ثم تركهما الضابط لمهلة عشر دقايق يتحدثان، جلس أحمد أمامها ضجرًا، بينما حاولت سارة استجماع شجاعتها وحدثته:

- أحمد! عامل إيه؟

هز رأسه ضاحكًا بتهكم، وفرد ذراعيه مستعرضًا قائلًا:

- زي الفل زي ما أنتِ شايفة، خدمة خمس نجوم.

فرك مؤخرة رأسه بغضب معرضًا عنها وكاد ينهض؛ فأمسكت بيده وأجلسته وقد أودعت وجهها كل آيات التوسل والرجاء فخضع وجلس على غير رغبة؛ فأردفت:

- أرجوك يا أحمد، أنا عارفة إني غلطت في حقك بس والله ماكنتش أقصد، أنا بحاول أعمل كل اللي أقدر عليه علشان أخرجك من هنا، بس مش عارفة ليه مش لاقية حل، كل يوم.. كل يوم بروح الشارع بتاعك والعمارة اللي ساكن فيها بحاول ألاقي أي دليل يثبت براءتك و ..

لاحظ أحمد ارتباكها المتزايد وارتفاع معدل نبضها الذي كاد يسمعه من موقعه وارتجاف يديها، رقَّ قلبه وشعر بالشفقة على حالها أكثر من نفسه، احتضن يديها بين كفيه مهدئًا من اضطرابها فتلاقت أعينهما، أومأ لها بنظرة حانية؛ فشعرت بالاطمئنان قليلًا واستطاعت في الأخير تمالك أعصابها، طلب

منها أن تأخذ نفسًا عميقًا أكثر من مرة حتى هدأت، ثم شرعت تتحدث:

- أرجوك يا أحمد ساعدني، فكر معايا. أكيد أنت تعرف حاجة انا معرفهاش، دي منطقتك وأنت أدرى بيها مني.

- وهو لو فيه حاجة يا سارة ماكنتش حاولت أنقذ نفسي يعني؟

- أرجوك اعصر دماغك، مثلا كاميرا مراقبة أو حد اتكلمت معاه، حد شافك في البلكونة أي حاجة.

أغمض أحمد عينيه زافرًا بيأس، ثم فتحهما وأشاح بنظره بعيدًا عنها؛ فحدثها حدسها بأنه هناك أمر غير طبيعي، اعتلت قسماتها أمارات القلق، وسألته بنبرة متهدجة:

- أحمد! أنت مش مخبي عليا حاجة، مش كده؟

لكنه خيب ظنها في تلك المرة وزاغت أبصاره دون أن ينبس بحرف؛ فعادوت تسأله بنبرة أشد إصرارٍ:

- أحمد رد عليا.

أطلق زفيرًا احتبسته رئتاه، ورمى إجابته الصادمة:

- سارة أنا ماكنتش في البيت وقت وقوع الجريمة.

تسمرت نظراتها وتوقفت أنفاسها، وراحت شتى الاحتمالات تنبعث في رأسها إلا احتمال واحد وهو أن يكون قد قتل كمال، ابتلعت صدمتها ودمدمت:

- طب أنت ليه ماتكلمتش، ماقولتش كنت فين ليه؟ يعني دليل براءتك في إيديك وساكت.

رد بعصبية بصوت خافت:

- لأني لو عملت كده احتمال أطلع من القضية دي بس الأكيد إني هلبس تهمة تانية.

تغضَّن جبينها بغير فهم؛ فاستتبع مفسرًا:

- سارة، أنا في الوقت ده كنت بوصل كمية كبيرة من شحنة عقار مخدر متهربة من الشركة لصيدلي كبير ومعروف، مش هيسكتوا لو اتكلمت عنهم يا سارة هيصَفوني وحتى لو اتكلمت هينكروا ومفيش إثبات على كلامي.

لم تتوقع سارة ما سمعت ولم تتخيل يومًا أن صديقها على هذه الشاكلة ممن يروجون السم الأبيض للناس، قرأ أحمد هذا في تعبير وجهها فعقب:

- أنا مش هنكر إني غلطت في أول مرة لما غووني والفلوس زغللت عيني وأقنعوني إني مجرد هوصل الحاجة دي وإن أي حد غيري هيعملها، لكن والله ندمت وحاولت أرجع بس

الطريق ده مافيهوش رجوع، هددوني ومسكوا عليا تسجيلات ليا معاهم وإحنا بنتفق على توصيل الشحنة للصيدليات والديلر، ماعرفتش أخلص منهم.

وجم وجه سارة وكساه الاشمئزاز، وأردفت:

- وأظن إن دي فرصتك تخلص منهم وتبلغ عنهم، يمكن يعتبروك شاهد لما تبلغ عن مافيا زي دي.

ضغط على قبضته وجز أسنانه بعصبية وقال من بين أسنانه:

- أنتِ ليه مش عايزة تفهمي، أنا أصغر بكتير من إني أوقع ناس زي دي، دول عصابة عارفة يعني إيه؟! يعني أوراقهم متستفة بالشعرة ومش بعيد هما اللي يخلصوا عليا جوا السجن قبل ما أفتح العيون عليهم.

نهضت سارة بعزم وملامح جادة، وقالت:

- وأنا مش هسيبك تلبس قضية قتل علشان خايف تتكلم.

- سارة، إياكِ. لو دخلتي نفسك في المشاكل دي مش هيرحموكي وأنا هنا مربَّط مش هقدر أعمل لك حاجة، أرجوكِ ماتحطنيش في الموقف ده وتقلقيني عليكي.

صمتت سارة برهة تزعم التفكير، ثم أومأت موافقة حتى تطمئنه لكنها بداخلها كانت تنتوي فعل شيء من شأنه إنقاذه.

أوقفت سارة تاكسي واستقلته دون أن تحدد وجهتها بعد، لاذت بالصمت بينما وضعت عقلها تحت ضغط كبير؛ فشرع يعمل بأضعاف سرعته كما هي طبيعته، لا تدري كيف ستصل إلى ذلك الديلر، كيف ستثبت وجود أحمد في ذلك المكان، ربما عليها زيارة تلك الصيدلية ومحاولة استخلاص أي دليل من حولها أو تتبع صاحبها لعلها تعطر في أثرٍ، لم تنطو عليها خلجات الخوف بقدر ما كانت عليه من قوة الشخصية والاقتدار.. بتر تفكيرها نداء السائق المتكرر:

- يا آنسة..يا آنسة!

انتبهت إليه مجيبة النداء؛ فاستطرد:

- حضرتك تعرفي العربية الفيرنا اللي ورانا دي؟

التفتت خلفها لترى سيارة رمادي من طراز verna، تقابلت نظراتها مع نظرات سائقها وكان رجلًا أربعينيًا أصلع الرأس وذا نظرات ماكرة مختلسة، عادت إلى السائق وأجابته:

- لا معرفهاش ليه؟

- أصل العربية دي ماشية ورانا من ساعة ما ركبتي.

سرت رعدة في جسدها وتذكرت حديث أحمد عن تلك العصابة وتحذيراته ألا تكرر زيارته كي لا يعتبرونها نقطة ضعفه

ويؤذونها واتفقا أن يكون التواصل بينهما من خلال المحامي وألا تتدخل هي، لكن هيهات.

لم تخف بل شعرت بالحماس معتقدة أن ذلك الرجل هو من سيوصلها إلى دليل براءة أحمد لكن عليها ألا تشعره بارتيابها فيه؛ فاعتدلت في جلستها، ومن ثم عدلت عن فكرة عودتها للمنزل وقررت الذهاب إلى ورشتها كي تتيقن إن كان ذلك الرجل يراقبها بحق أم لا، وتفكر في خطوتها التالية، ربما من الأوفق أن تخبر المحامي وتستشيره فيما يتوجب عليها فعله؛ فهي تعرف أن أحمد لن يمدها بأية معلومات عن ذلك الديلر كي لا يعرضها للمخاطر لكنها لا تأبه للخطر بقدر ما تهتم لخروجه من مأزقه يخامرها شعور بالراحة كلما فكرت أنه سيكون إلى جانبها يخفف من أحزانها وتوترها الذي أصبح ملازمًا لها في تلك الآونة.

****

دلف العسكري مكتب خالد مؤديًا التحية العسكرية قائلًا:

- فيه واحد برة اسمه فؤاد عايز يقابل حضرتك يافندم. وقدم له هويته الشخصية؛ فأمره خالد بأن يدخله.

ولج فؤاد مترددًا يقدم ساقًا ويؤجل الأخرى، لكنه أصبح في مواجهة خالد، اضطجع الأخير في مقعده بارتياح يطالع فؤاد بنظرات غامضة تحمل بين طياتها الشك والارتياب، أثارت

الخوف في جوفه حتى أنه ظن أنه لم يكن يجب عليه أخذ تلك الخطوة، أشار له خالد بأن يجلس ففعل بحركات آلية ومازال ملازمًا للصمت، يفكر هل عليه التحدث أم التذرع بأي أمر ويفرُّ من ذلك المكان، لكن لم يمهله خالد وأردف بصوت مهيب:

- إيه يا أستاذ فؤاد ما أظنش إنك طلبت تقابلني علشان تسكت.. طب خليني أسهلها عليك، المقابلة دي مش متأخرة شوية؟

استرعت جملته انتباهه بل فزعه، والتفت نحوه متسائلًا:

- قصد حضرتك إيه؟

وبصوت يتخلله التهكم أجابه خالد:

- ما هو لو حضرتي قلت قصدي إيه هحطك في موقف صعب، فأنا بديلك فرصة أخيرة إنها تيجي منك.

فهم فؤاد ما يرمي إليه؛ فأومأ برأسه موافقًا وحمحم، ثم شرع يقول:

- أنا.. أنا مدرك إن اللي هقوله ده هيحطني في موقف صعب، مش عارف نهايته هتكون إيه، بس مع ذلك ماقدرتش أسكت أكتر من كده.

- أنت اللي جبتلي الظرف عند باب بيتي، مش كده؟

هز رأسه مستسلمًا واسترسل:

- كمال الله يرحمه كان اداهولي وحلفني مافتحوش ووصاني لو جراله حاجة أوصله للبوليس.. بس مش ده اللي أنا جاي علشانه.

ضاقت عينا خالد مقطبًا جبينه؛ فأماط فؤاد اللثام عن سره مفصحًا:

- أحمد مش هو اللي قتل كمال وعز.

انتبه خالد معتدلًا في جلسته فتابع فؤاد:

- أنا كنت موجود وقت ما الجريمة حصلت، وشفت عز وهو بيتقتل قدام عيني.

تجهم وجه خالد واشتاط غضبًا قائلًا بسخط:

- بس أنت نفيت عدم وجودك وقت وقوع الجريمة وفيه شهود على كده، إيه اللي يخليني أصدقك دلوقتي؟

اعتصر فؤاد عينيه بمرارة، يجابه خلجات الخوف التي تملكته، وقال دون النظر إلى خالد:

- عارف، عارف بس أنا دخلت وخرجت من العمارة من غير ما حد يشوفني كمان زميلي اللي شهد إني مارجعتش البيت أنا اللي أوحيت له بكده.. أنا هحكي لحضرتك كل حاجة..

وابتلع غصة حلقه، ثم استطرد:

قبل الحادثة بيومين طلعت لكمال وطلبت منه يعمل لي هدية مميزة بالصور لزميلتي، وهو ماتأخرش بس هو ماكنش مظبوط كان فيه حاجة غريبة.

- حاجة غريبة ازاي يعني؟

- يعني لما خبطت على الباب كان خايف ومافتحش غير لما اطمن إن أنا اللي على الباب وتصرفاته مرتبكة أقل حركة بتفزعه، ولما سألته على سعر الهدية قال لي إنه مش عايز فلوس وإنه عايز مني خدمة، في الأول استغربت لحد ما لقيته بيمد لي إيده بالظرف، وقال لي لو حصل لي أي حاجة أنت هتعرف هتودي الظرف ده لمين، وحلفني ما أفتحوش وإلا ممكن أعرض نفسي للخطر، في الأول رفضت وقلت له إني مش عايز مشاكل وياخد تمن هديته وبس، اترجاني كتير لحد ما اضطريت أوافق قلت بيني وبين نفسي هيعدي كام يوم تكون أعصابه هديت وأرجعهُ له، ما تخيلتش إن ده كان ممكن يحصل بعدها بيومين.

- وبعدين؟ سأله خالد منصتًا بجُل تركيزه.

- وبعدين جه يوم الحادثة، خرجت بدري وقلت لصاحبي يغطي عليا علشان ألحق أروح أجيب الهدية من كمال قبل حفلة عيد الميلاد لأنها كانت بعد الشغل على طول، يعني كنا عاملينها في كافيه قريب من مكان الشركة، لما وصلت العمارة كان البواب مش موجود، طلعت لكمال خدت منه الهدية وشكرته ونزلت

شقتي علشان أجهز قبل ما أخرج وأغير هدوم الشغل، بعد ما خدت دش وخرجت الصالة سمعت صوت دوشة برة كأن حد بيتخانق ماكنش ينفع أفتح الباب لأن يعني كنت لسه..

- مفهوم مفهوم.

- بس بصيت من العين السحرية لقيت عز بيتخانق مع شاب كده شكله مش ظبوط وعز بيقول له "أنت مين، مش هسيبك غير لما أعرف" فضل بينهم شد وجذب لحد ما وقعت محفظة من الشاب ده وجري عليها عز وكان شكله اتصدم لما شاف حاجة فيها، وفجأة لقيت الشاب ده بيطلع مطواة من جيب بنطلونه أول لما عز التفت له طعنه 3 مرات وبعدها زقه جوه شقته ورماه في الأرض وقفل الباب ونزل يجري.

- وأنت ماحاولتش تنقذ عز؟

- خفت..خفت يا فندم، حتى مارضتش ألمس باب الشقة، لبست هدومي وطلعت أجري على كمال علشان نشوف نعمل إيه وننقذه إزاي، ولما طلعت لقيت باب شقته موارب فتحته برجلي لقيته متعلق مشنوق، رديت الباب بمنديل وخدت ديلي في أسناني ونزلت أجري، خدت الهدية وغيرت هدومي تاني ولبست نفس الهدوم اللي كنت راجع بيها من الشغل، ونزلت السلم لحد الشباك اللي قبل الدور الأول، وقعت قصرية الزرع علشان ألهي البواب وأول لما ساب البوابة خرجت بسرعة ورجعت الشركة ولما صاحبي سألني قلت له إني كسلت أرجع

البيت وجبت الهدية من مكان قريب وخرجت معاهم من الشركة للحفلة علشان كده كلهم كانوا مفكرين إني ماسبتش الشركة ولا رجعت البيت.

داعب خالد ذقنه قائلًا بنبرة تحذيرية:

-أنت كده بتغير أقوالك وده هيحطك في موضع اشتباه.

- عارف بس أنا ضميري بيأنبني إني ماقدرتش أنقذ عز، أنا واحد جبان بس مش هستحمل واحد تاني بريء يتعدم بتهمة ماعملهاش وأقف ساكت.

- طب والمجرم تقدر توصف لنا شكله؟

- للأسف كل ده حصل في ثواني ده غير إني كنت بشوفه من العين السحرية وكان مغطى راسه ووشه بالكاب صعب أقدر أفتكر شكله او ملامحه.

نهض خالد ومر من خلف فؤاد وربت على كتفه في حركة تهديدية يقول:

- طيب يا فؤش عايزك تعصر لي دماغك وتفتكر لي أي حاجة عن القاتل، لبسه أي علامة مميزة فيه، أي تفصيلة ولو صغيرة دماغك فاكراها عايزك توصفهالي بالظبط.

فكر فؤاد، وبلل شفتيه القاحطتين، ثم قال وهو يفرك أصابع يديه:

- هو كان شاب طويل شوية يعني في حدود متر وسبعين سم وجسمه كان مظبوط مش تخين ومش رفيع..اه وكان لابس بنطلون جينز أزرق وسويت شيرت كحلي وكان لابس الزونط على راسه ومنزله على وشه..

- كل ده مش هيفيدني بحاجة يا فؤاد، حاول تفتكر حاجة تانية، حاجة تكون لفتت انتباهك.

- طبيعي يا فندم ان كل ده كان هيلفت انتباهي أنا مش بشوف قاتل كل يوم.

- بالظبط و ده المفروض يخليك تبقى مركز لكل اللي بيحصل بأضعاف تركيزك وعينيك هتخرج من مكانها.

فرك فؤاد جبهته بحدة محاول تحفيز ذاكرته يهز ساقيه بعصبية وكأنما هناك أمر يلح عليه وهو غير مدرك له حتى صاح فجأة:

- أيوا..افتكرت..عندك حق يا باشا.. الساعة!

حدقه خالد بنظرة تساؤل؛ فأردف:

- الساعة الرولكس السيلفر شفتها بعيني، وقت خناقته مع عز كان قرب من باب شقتي وإيده اترفعت قدام العين السحرية.

- متأكد؟! سأله خالد مرتابًا، فأكد الآخر:

- طبعا طبعا يا باشا.

نهض خالد ليعود إلى مقعده خلف المكتب وتنهد ثم قال:

- طيب يا أستاذ فؤاد، مع ذلك أنا مضطر أحجزك وأحولك للنيابة، وهما هناك هيقرروا هيعملوا معاك إيه.

وجل فؤاد وبدا أنه ندم على اعترافه فعاد متسائلا:

- طب يا باشا، أنا كده موقفي إيه؟

- ماكدبش عليك، أنت مشتبه فيك واحتمال تتحبس على ذمة القضية.. يا عسكرى!

****

استقبلت مدام چيلان ضيفها، ورحبت به وأكرمته بتقديم قدحٍ من القهوة السادة كما طلبها؛ فتناوله منها ممتنًا:

- ماكنش فيه داعي والله يا مدام چيلان، متشكر!

- العفو حضرتك ضيفنا يا سيادة المقدم.

- بعتذر أولا للإزعاج بس مضطر للأسف أسأل آنسة سارة كام سؤال مهمين.

- هي زمانها على وصول، هنعمل إيه بس يا فندم أدي الله وأدي حكمته.

اعتمد خالد إطالة الحديث بينهما، يستدر منها الكلام ربما خرج بمعلومة مهمة؛ فهو على يقين بأن الاسترسال في الحديث هو

السلاح الأول للضابط؛ فمنه يستنبط الحقائق ويمكنه ربط خيوطها المتناثرة؛ فأردف:

- من الواضح إن الآنسة سارة أعصابها تعبانة جداً اليومين دول ومحتاجة اهتمام ورعاية خاصة.

- آه حبيبتي، ما هو خبطتين في الراس توجع بردو يا فندم، إحنا كنا ما صدقنا رجعت لحياتها الطبيعية تاني بعد سنين معزولة فيهم عن العالم، يا حبيبتي تاخد صدمة زي دي.

أدرك خالد من حديثها أن سارة عانت من فقدان أمها، فاستطرد:

- شكلها حساسة جدًا، ربنا يصبرها.

- آمين.. ومش عارفة هتلاقيها منين ولا منين بصراحة، مش كفاية حزنها على خطيبها، عمالة كل يوم تتنطط في حتة شكل على أمل تثبت براءة أحمد.

أنزل خالد الفنجان عن فمه بعصبية، وقال:

- أنا قلت لها قبل كده ماتعملش حاجة وتسيب الموضوع ده علينا، كده هتصعب علينا شغلنا وممكن تعرض نفسها للخطر.

أومأت جيلان بقلة حيلة، وقالت:

- والله أنا كل يوم بموت في جلدي من الرعب من ساعة ما بتنزل لحد ما ترجع، واحدة زيها وفي حالتها سهل أي حد

يضحك عليها أو يوقعها في مشكلة، أرجوك حاول تتصرف في الموضوع ده، بس بعد إذنك ماتقولهاش إن أنا اللي بلغت حضرتك.

قطع حديثهما صوت صك الباب ليتفاجآ بسارة في حالة مزرية، يبدو عليها القلق الشديد، ويظهر الخوف في أنفاسها اللاهثة، ما لبثت أن انتبهت لوجود خالد، فعدَّلت من هيئتها وتمالكت أعصابها ودلفت ترحب به، لاحظ خالد في مصافحتها برودة يديها وكأنها قطعة جليد وارتعادها حين سحبت يدها بسرعة من يده لئلا تكشف توترها له، فأعادت خصلة شعرها خلف أذنها، وتبسمت بتردد قائلة:

- أهلا بحضرتك يا خالد بيه، خير؟

تدخلت چيلان:

- خالد بيه يا سارة كان عايز يسألك كام سؤال.

عادت سارة بنظراتها إلى خالد، وأخرجت الكلمات بصعوبة من حلقها الجاف:

- اتفضل اسأل!

أشار لها خالد قائلا بنبرة لا تخلو من السخرية:

- هسألك واحنا واقفين؟ آنسة سارة أنتِ كويسة؟ فيه حاجة حصلت برة أو...

ارتعدت سارة، ولاحقته قائلة:

- لا لا أبداً اتفضل، أنا بس اتفاجئت بوجود حضرتك.

لم يقتنع خالد بما قالته لكنه جلس قبالتها وأمطرها بوابل من الأسئلة، متفحصًا في ذلك كل فعل وكلمة يصدران عنها:

- أنتِ تعرفي كل أصحاب كمال الله يرحمه أو معارفه؟

- آه طبعا.. إحنا كنا مع بعض بقالنا سنة وكمال ماكنش بيخبي عليا حاجة.

ابتسم لبرهة بدهاء، ثم قال:

- تمام الأسماء اللي هقولها لك دي ركزي فيها كويس وقولي لي تعرفيهم ولا لأ.

هزت رأسها موافقة؛ فاستطرد:

- مصطفى الشوادفي، وائل صبحي.

بلا تردد أجابته:

- لا ماعرفهمش أول مرة أسمع عنهم.

- يعني كمال عمره ما جاب سيرتهم قبل كده.

- إطلاقًا.

- طب ما لمحلكيش في مرة إنه في خطر أو فيه حد بيهدده.

- أبدًا ماحصلش.

- اعذريني يعني يا آنسة سارة، دي حاجة مش عارف أفسرها، الناس الغريبة عنه كانوا ملاحظين التغير الكبير في حالته وإنه انعزل عن الناس وعلى حد أقوالهم حسوا إنه خايف من حاجة، كل ده ازاي ماخدتيش بالك منه، المعروف إن الستات مابتسكتش على ملاحظة زي دي.

- مش عارفة يا فندم جايز ماحبش يقلقني وكان بيتظاهر قدامي إنه كويس، وجايز لأني واخدة على حالته لما بيدخل في اكتئاب مابيبقاش حابب يتكلم وأنا بحترم ده ومش بزّن عليه لحد ما يهدا لوحده.

أصدر إيماءة تفهم؛ فأردفت:

- هو فيه إيه يا فندم ومين الناس اللي بتسأل عنها دي؟

لم يجبها خالد وألقى سؤاله التالي:

- فؤاد جار كمال، هل كان فيه أي علاقة بينهم، عداوة مثلا أو أي موقف عدائي حصل بينهم؟

- كمال ماجابليش سيرة حاجة زي كده.

لم يكن ينتظر ردًا مغايرًا لذلك، لكنه كان تمهيدًا لسؤاله الأخير الذي أطلقه حينما نهض ليغادر:

- أنتِ قلتِ إنك تعرفي كل معارف كمال على الأقل اللي كان بيتواصل معاهم في فترة معرفته بيكِ.

- أيوا.

- طب تعرفي حد منهم بيلبس ساعة رولكس سيلفر؟

فكرت قليلًا ثم قالت:

- ده سؤال صعب أوي، مش من طبعي إني بركز مع الناس.. بس لأ ماعتقدش إني شفت حد لابسها وسوري يعني أصحاب كمال ماكانوش بالمستوى اللي يخليهم يهتموا يلبسوا ساعة غالية زي دي.

- ممكن تكون كوبي منها مثلا؟

- لا يا فندم مش متذكرة بصراحة حاجة زي كده.

افتر عن ثغرة ابتسامة خفيفة، ثم استأذن مغادرًا.

"المشكلة أنك عندما تكون مستغرقا بالتفكير في نقطة معينة تميل لتجاهل النقاط الأخري"

أجاثا كريستي

7

عاد خالد إلى منزله منهكًا، متلهفًا لرؤية ولده ومداعبته واللعب معه، فأحيان كثيرة ما يشعر خالد بتأنيب الضمير تجاه ابنه بسبب انشغاله المستمر في عمله؛ فيعجّل بالعودة إليه دون ادخار أي مجهود في سبيل إسعاده، لكنه وجده قد نام وأخبرته الخادمة أنه لم ينفك يسأل متى سيعود والده من عمله؛ فشعر بالندم ينسل إلى قلبه وزفر بحنق، ثم دلف إلى غرفة المعيشة وخلع عنه سترته وألقاها بإهمال على أقرب مقعد؛ فأخذتها الخادمة وهي تثرثر امتعاضًا من عادته تلك التي تثير غيظها دائمًا وأدخلتها غرفته وهو بدوره لم ينبس ببنت شفة، فتلك السيدة المسنة ليست مجرد خادمة بل إنها معهم منذ سنوات طويلة تعمل على رعاية ابنه ورعايته أيضًا؛ لذا هو مدين لها بالكثير ويعاملها بكل ود واحترام.

عادت تسأله أن تأتي إليه بالطعام لكنه رفض مبررًا أنه ليس جائعًا على الرغم من عدم تناوله كسرة خبز من بعد الافطار؛ فعرفت على الفور أن هناك أمرًا يؤرقه فلم تصر عليه.

بدل خالد ثيابه، وصنع فنجانًا من القهوة، ثم دخل غرفة مكتبه، رشف من فنجانه وجلس على مقعده الهزاز، ومن حوله إضاءة خافتها تبعث على الاسترخاء، أغمض عينيه وأطلق العنان لمقعده يروح ويغدو به، كما أن عقله خضع لذلك وشرع يعمل

باحتدام عوضًا عن استرخائه، تنبعث الأفكار في عقله وتتشابك خيوطها ككرة عنكبوتية صعبة الانحلال، شعر بالضيق؛ فمضي يزيد في اهتزاز مقعده وقد استبدَّ به الغيظ، فكيف يمكن أن تكون هناك قضية لا تجتمع أيًا من خيوطها هكذا، فتح عينيه وأوقف اهتزاز الكرسي بغتة ووقف يحملق في السقف أو بالأحرى في اللاشيء إذ كانت عيناه ترى ما يفكر فيه ليس ما يحيط به، صكَّ أسنانه وهتف بغيظ شديد:

- فيه حاجة قدامي أنا مش شايفها.

حينئذ قرر أن يأتي بأجندته السوداء ليخط بها كل ما توصل إليه حتى الآن في القضية علَّه يستطيع حل عقدتها، ومن ثمَّ شرع يكتب كل ما يتردد على ذهنه دون تفكير أو ترتيب:

- ليه عز كان قايل لصاحب العمارة ع اسمه مزيف؟
- ليه عز ماقالش لخطيبته على السكن ده؟
- الساعة الرولكس!
- ليه عز يتصل برقم مش مسجله؟
- ليه عز وقف القاتل؟ هل لمجرد ارتيابه ف مظهره؟
- الساعة الرولكس!
- إيه اللي شافه عز في المحفظة وخلاه يتفاجيء؟

• اللي قتل كمال ومصطفى بيستخدم ايده اليمين إنما اللي قتل عز بيستخدم إيده الشمال؟

• تأكيد فؤاد إن أحمد مش هو القاتل رغم إنه ماشافش وش القاتل!

• الساعة.. الرولكس!

• هل هناك علاقة تجمع بين (مصطفى وكمال ووائل) وعز؟

• قاتل كمال كان قريب منه لدرجة يعرف أدق تفاصيل حياته.

• القاتل دخل بيت كمال بدون أثار عنف على الأبواب، هل استقبله كمال ولا...

• الساعة الرولكس!

رمى القلم من يده وزفر بارتياح ينافي الملحمة الضارية القائمة برأسه، لكنه وعلى الرغم من عدم توافر إجابات تساؤلاته في الوقت الحالي إلا أنه عرف الشيء الذي يبهت على عقله ويحجبه عن التفكير بأمور أخرى، الساعة الرولكس!

حينئذ قرر أن يغير مسلكه في القضية بمفرده، إذ إن من عادته في بعض القضايا حين يتوصل إلى منحنى خطير بها لا يفصح عما يفعله أو ينتوي فعله أو حتى توقعاته، بل يحتفظ بكل فكرة لنفسه وبذلك يضمن خطَّي سير للقضية إذا فشل أحدهما، ربما ينجح الآخر دون أن يشتت ذهن فريقه بأفكاره الغريبة، لا يعلم

لمَ يفعل ذلك، لكن هذا ما يمليه عليه حدسه، وهو ينصاع إليه بشكل كامل ولا يجد غضاضة في ذلك، لكنه لم يكن يعلم أن هناك مفاجآت أخرى في انتظاره، حين رن هاتفه مبشرًا بمعلومات جديدة لم تكن في الحسبان.

****

يجلس في مقعده الوثير خلف مكتبه، تمر رشفات القهوة طيبة المذاق بين شفتيه، يغمره شعاع شمس الأصيل منسل من النافذة بدفء يبعث على الحيوية والنشاط، في يده هاتف عز يقلبه بيده، لوهلة ساوره الشك حيال الطريق الذي أمسى يسلكه في القضية ضاربًا بكل ما توصل إليه عرض الأفق، وفي تلك اللحظة وبعدما توصل إلى الرقم الذي كان يبتغي عز الاتصال به كاملًا، أخذت تعصف به الحيرة إذ وجد عدة رسائل بين عز وبين صاحب الرقم، لكنها جميعها مجرد صور، صور عادية جدًا، بيد الأمر غريبًا وخاصة أن الرقم من تلك الأرقام غير المسجلة ولم يتوصل إلى صاحبها غير أن الرقم أغلق منذ يوم الحادث، لم يدر هل لهذا علاقة بقضيته أم أنه أمر آخر يخص عز ولا سمة رابط بينه وبين قضيته؟!

حينذاك دخل العسكري وأخبره بقدوم من قام باستدعائهما، فأمر بدخولهما وارتسمت الجدية على محياه حينما وفدت عليه وعد وإلهام، حيث بادرت وعد بثبات على عكس زميلتها المرتعدة:

- صباح الخير يا خالد بيه.

- صباح النور يا آنسة وعد، اتفضلوا.

جلستا وشرع خالد بفحص وجهيهما، كان وجه وعد لا ينم عن أي تعبير، لكن هيئتها بدت حزينة، أما إلهام فكانت أمارات الخوف ناطقة على وجهها بمجرد دخولها، بددت وعد الصمت وقالت:

- حضرتك طلبتنا! خير عرفتوا مين اللي قتل مراد؟ هو الشاب اللي قبضتوا عليه؟ طب وإلهام إيه دخلها في الموضوع؟

تقدم خالد بجزعه إلى الأمام ممسكًا قلمًا بيده، وقال:

- حلمك عليا شوية يا آنسة، مبدأيًا أنا طلبتكوا هنا علشان أسألكم على كذا حاجة وبما إن الآنسة إلهام صديقة مشتركة بينك وبين مراد الله يرحمه ومن أيام الجامعة كمان؛ فحبيت أطرح عليها بعض الأسئلة مش أكتر.. محتاج منكم بس تركزوا قبل ما تردوا عليا بأي إجابة وخاصة إن ممكن يكون عدا عليها وقت طويل.

ظهرت علامات القلق على ملامح وعد بينما انسحبت الدماء من وجه إلهام؛ فألقى خالد سؤاله بنبرة تثير الأعصاب تعمَّدها:

- مراد كان على علاقة بواحدة تانية غيرك؟

امتقع وجهها وأجابته بصوتها الأجش:

- إيه اللي حضرتك بتقوله ده؟ لا طبعًا.

- اهدي يا آنسة وعد، أنا عارف إني كلامي هيزعجك بس مش غريبة شوية إنه يخبي عليكي مكان سكنه؟

صمتت وأشاحت بنظرها عنه، ثم عادت لتقول:

- ومع ذلك أنا واثقة إنه مفيش حد تاني في حياته غيري، مراد مش من النوع ده من الرجالة.

أسند خالد ظهره إلى الخلف يردد بينه وبين نفسه " مش من النوع ده من الرجالة!" قلب شفتيه ساخرًا، ثم قال:

- تمام تمام طب مش غريبة بردو إن بعد السنين اللي انفصلتوا فيها دي يرجع ويشتغل عند والدك؟

هنا تحدثت إلهام:

- أنا اللي اقترحت عليه يا فندم.. مراد كان بيدور على شغل لفترة طويلة وماكنش لاقي خاصة بعد الظروف اللي مر بيها و..

- ثانية واحدة! أي ظروف تقصديها بالظبط؟

تدخلت وعد:

- مراد كان اشتغل في مكتب محامي كبير، لكن اتهموه في اختفاء أوراق تخص قضية ما وخسروها ورفدوه، وقتها كان صعب يلاقي شغل في مكتب محترم.

- امم فهمت، اتفضلي كملي يا آنسة إلهام!

- في يوم لقيت كومنت على الفيس بوك من مراد على بوست صديق مشترك بيننا؛ فكلمته واتفقنا نتقابل وفعلا حصل وعرفت منه إنه مش لاقي شغل، ولما اقترحت عليه يقدم في مكتب عمو محمود رفض في البداية لكني ألحيت عليه ومن ناحية تانية وعد كلمت باباها إنه يقبله من غير ما مراد يعرف إن ليها دخل.

- امم جميل، طب يا آنسة وعد الرقم ده شفتيه قبل كده، مراد كان بيطلبه مثلا أو الرقم ده رن عليه وهو معاكي؟ قرب منها قصاصة مكتوب عليها الرقم كاملًا؛ فألقت عليه نظرة سريعة وأجابته دون تردد:

- لا معرفوش. ومراد كان في الغالب بيتصل بيه عملاء كتير من أرقام غريبة؛ فمش أمر ملفت للانتباه يعني.

أصدر إيماءة تفهم، ثم فجر قنبلته في سؤاله الأخير:

- آخر سؤال بقا وأتمنى تركزوا معايا كويس، أيام الجامعة طبعا أنتم كنتم في جامعة عين شمس، تفتكروا حادث حصل لبنت اسمها فرح...

حملقت فيه إلهام مبهوقة وما لبثت أن لاح على وجهها علامات الأسى بينما تغضن جبين وعد محاولة التذكر ثم قالت:

- تقريبًا يقصد فرح اللي انتحرت بعد الفضيحة اللي حصلت لها.. كانت في كلية آداب أعتقد.

- بالظبط!

- آه! افتكرت، مالها؟

- كان إيه مدى علاقتكم بيها؟

- أبدًا، معرفة سطحية كانت ساكنة مع واحدة صحبتنا في الكلية وكانت بتيجي تقعد معانا، وقطعنا علاقتنا بيها بعد اللي عملته وكل الدفعة تجاهلتها لحد ما حصل وانتحرت للأسف.

- امم يعني ماكنتوش مقربين منها ولا تعرفوا مين اللي كان مقرب منها؟

- لا أبدًا.

- آنسة إلهام، سكتي ليه؟ فيه حاجة تعرفيها وماقولتيهاش؟

- أنا؟ لا لا أبدًا.

- تمام شكرًا ليكم، تقدروا تتفضلوا.

****

غرفة تكاد تكون مظلمة لولا ذلك الشعاع الهزيل محاولاً التسلل بين قضبان النافذة أعلى الجدار، تغوص في رائحة كريهة لا تتحملها الأنوف، انزوى أحمد في أحد الأركان ولم يعتد بعد على تلك الزنزانة وكأن عقله يرفض ذلك على أمل الخروج منها وإن بدا له الأمر مستعصيًا، يتذكر كلمات أمه -رحمة الله عليها- حينما كانت تجده مهمومًا؛ فتقول له "يا ابني ما ضاقت إلا ما فرجت، افتكر سيدنا يوسف بعد ما اتظلم واتسجن لما خرج ربنا كافأه ازاي، أنت بس اصبر واذكر ربنا هيجيلك الفرج من حيث لا تحتسب" فأخذ يتمتم "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، سبحان الله وبحمده..." أخذ يزيد من التسبيح وأغمض عينيه وأسند رأسه إلى الحائط حتما سمع صوت المزلاج يفتح والعسكري يحل قيد أحدهم من يده، ويدفعه إلى الداخل قائلًا بعنجهية:

- خش ياخويا!

لم يطُل شعاع الضوء ذلك الشخص إلا أن أحمد شعر بألفة نحوه، إلا أن شرع يدخل إلى بقعة النور قبل أن يمر بسعد أبو الكماين وتوقعك بشأن تسميته بذلك الاسم في محله، إذ لم يمر مستجدٌ إلا ونصب له كمين وجرده مما يملك، سمع صوتًا مألوفًا يحتج على أبو الكماين:

- إيه يا عم إيدك فيه إيه؟

- لا يا برنس أنت هتتشبحن عليا أنا، قب باللي معاك ياض!

نهض أحمد لفض الاشتباك بنصح الوافد الجديد بالاستسلام لأبو الكماين خاصة وأن هيئته توحي بقلة خبرته في التعامل مع تلك الشاكلة من الناس، لكنه صُدم حينما اقترب منه وعرفه على الفور:

- فؤاد!

- أحمد!.. ما خلاص بقا يا عم، خد أهو اللي في جيبي أربعة أصفر فرط خد اتني وسيب لنا اتنين.

- لا يا حلو...

- خدهم يا عم كلهم وحل عني.

أخذه أحمد إلى أحد الأركان بعدما أفرج عنه أبو الكماين متسائلًا:

- أنت إيه اللي جابك هنا؟

- مفيش ماكنتش عارف أقضي الويك إند فين، مالقتش غير المكان الزبالة ده تغيير.. جرا إيه يا عم أحمد، اتلطيت في نفس القضية اللي أنت جاي فيها.

- أيوا ليه يعني؟ شكوا فيك؟ انت عملت حاجة؟

وما لبث أن أمسكه أحمد من تلابيبه متسائلاً بنبرة لا تخلو من التهديد:

- ولاه اوعى تكون أنت اللي قتلته؟

أنزل فؤاد يده عن قميصه، ثم انحنى وأخرج سيجارتين كان يخبئهما في جواربه؛ فناول أحمد واحدة رفضها باشمئزاز، وأشعل الأخرى لنفسه وسحب نفسًا، ثم قال وهو يخرجه:

- والله عيب عليك! يعني أنا ماخلصنيش إنك مسجون هنا ظلم وجيت أخرجك واتحبست بسببك وكمان تشك فيا؟ صحيح خيرًا تعمل شرًا تلقى!

- مش فاهم؟

- أفهمك أنا...

وقص عليه فؤاد ما حدث واعترافه للضابط ووكيل النيابة وقرار حبسه احتياطيًا على ذمة التحقيق؛ فاندهش أحمد وراح يتساءل بلهفة:

- يعني كده صدقوا إني ماليش علاقة بالجريمة؟

أخرج فؤاد سحابة من الدخان من فمه متغضن الوجه، ثم قال بأسف:

- كان نفسي أقول لك آه بس ما اتهيألليش يا أبو حميد.

كست سحابة اليأس وجه أحمد مرة أخرى وأمسى يفكر أنه يجب عليه التحدث مع المحامي وإطلاعه بهذا الأمر، عسى أن يكون به الخلاص من تلك الورطة.

****

فتح باب الزنزانة عن العسكري ينادي باسم أحمد فأتاه الرد من أحد الأركان:

- أيوا أنا!

- تعالى ياخويا، عندك زيارة.

ربت فؤاد على كتفه داعمًا؛ فخرج مع العسكري الذي قاده إلى مكتب الضابط حيث ينتظره المحامي، وخرج الضابط ليتحدثا على انفراد، ابتدره أحمد هاتفًا بحماس:

- عرفت اللي حصل يا متر..

أشهر المحامي يده في وجهه معربًا عن إدراكه بآخر التطورات قائلا:

- عرفت كل حاجة، عن اللي اسمه فؤاد اللي شهد لصالحك و.. عن مكان وجودك يوم الحادث.

قالها بنبرة تأنيب؛ فرد أحمد بانزعاج:

- هي.. سارة قالت لك؟

- كان لازم أنت اللي تقول لي، أستاذ أحمد أنا هنا علشانك أنت، علشان أخرجك، ماينفعش يكون فيه أي معلومة أنا ماعرفهاش.

- حصل خير يا متر وأهو ربنا حلها وبعت اللي ينجدني من غير ما نفتح دفاتر إحنا مش قدها.

هز المحامى رأسه بامتعاض قائلا:

- مفيش أي حاجة اتغيرت، فؤاد ماشافش وش القاتل، يعني مافيش ما يثبت إنه ماكنش أنت، مازالت الشبهات والدوافع بتدور حواليك.

نكس أحمد رأسه بين كفيه متأسيًا، ثم رفع وجهه، وقال:

- والعمل يا متر؟

- تعترف.. أيوا تعترف مافيش قدامك حل تاني، يا إما تدَخل دول السجن يا إما حبل المشنقة مستنيك.. ماتقلقش أنا هظبطها مع وكيل النيابة إنهم يعتبروك شاهد ملك قصاد إنك هتعترف على شبكة كبيرة زي دي، حيازة الكم ده من المخدرات اللي بيسمموا بيها الشباب كل يوم يستاهل.

- هو ينفع يا متر؟ ولا هلاقي نفسي بعد كده لابس معاهم؟

- ماتخافش أنت طرف ضعيف في الجريمة بتاعتهم، ده غير إنهم بيبتزوك علشان يجبروك تشتغل معاهم وده هنثبته لوكيل النيابة، أهم حاجة تعمل اللي هقول لك عليه بالحرف الواحد.

- طب والمطواة اللي لقوها في بيتي؟ أنا ماكنتش أعرف إنها جريمة يعني!

- دي كمان هتخلص بغرامة، ماتقلقش.

تجلى على ملامح أحمد أنه شارف على الإقتناع؛ فانتهز المحامي هذه الفرصة مشددًا:

- صدقني دي آخر فرصة ليك.

****

خرج خالد من مكتبه بحثًا عن إجابة لبعض التساؤلات التي ما زالت تحمل علامات استفهام عدة، وذلك بعدما أدرك أنه كلما اتخذ سبيلًا مغايرًا في القضية، تعود سبله لتتقاطع مرة أخرى، فعندما قرر أن يبحث قضية قتل عز بمنأى عن قتل كمال لا تستقيم رؤياه ولا يجد مخرجًا بل يعود إلى نقطة الصفر مرة أخرى، ولكن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن قاتل كمال ليس بقاتل عز!

ترى هل قُتل عز بسبب أمور خاصة به وتصادف توقيت مقتله مع مقتل كمال؟!

لا يبدو له الأمر معقولًا!

وصل إلى جامعة عين شمس وهو موقن بأن مكمن الحقائق هناك، وعليه استقطابها بشكل أو بآخر، لم يجد أفضل من عاملات النظافة بالجامعة يمكنه استخراج الحقائق من أفواههن وإن كانت ملفقة ببعض الأكاذيب والحكايات التي يحبون

روايتها، وبعد تمحيص وقع اختياره على إحداهن والتي تعمل في الجامعة منذ أكثر من عشرة أعوام وأدرك أنها قوية الملاحظة، لا تفوتها شاردة ولا واردة في حياة الفتيات الجامعية، سيدة عاطفية تستحوذ على مشاعرها الأحاديث والحكايات الرومانسية، وكان من اليسير عليه بعد ذلك جذب الحديث منها وشُدَّ ما أدهشه هو قوة ذاكرة السيدة إذ على الرغم من كونها لم تتذكر أسماء من تتحدث عنهم إلا أنها برعت في وصفهم أيما براعة، ذلك ما رفع الحجاب عن غشاوته عن بعض الأشياء، ودَّ لو بإمكانه إعطائها وسام لكونها السبب الرئيسي في حل أولى ألغاز القضية، لكن ما كان بوسعه سوى إكرامها بورقة فئة المائتين جنيه سعدت بها كثيرًا.

وبعد خروجه من الجامعة، عزم أمره على ألا يمر يومه دون الحصول على إجابات الأسئلة الأخرى، أو بالأحرى تأكيد استنتاجاته.

****

في تلك الأثناء، وبعد تقديم أحمد اعترافه كاملًا إلى وكيل النيابة، خرجت قوة من مكافحة المخدرات بالجيزة، بقيادة العقيد نادر شرف والرائد محمد فودة وقاموا بمداهمة الصيدلى المذكور في البلاغ وتم حيازة عشرة آلاف قرص مخدر من "أباتريل، أموتريل، بركينول"، كما قاموا بمداهمة مسكن رئيس

أحمد المسئول عن ذلك الإتجار وعثروا بمنزله على تسعة آلاف قرص مخدر بالإضافة إلى خمسين زجاجة كيتوفان.

وبعد اعتراف الصيدلي بوجود أحمد لديه في التوقيت الذي وقعت به الجريمة، لم يجد وكيل النيابة هناك داع لتوجيه إصبع الاتهام إليه كما اعتبره شاهد ملك، وتبقى على إخلاء سبيله من تلك القضية إتمام بعض الإجراءات ليس أكثر.

****

جلست چيلان تشاهد إحدى حلقات مسلسلها المفضل على التلفاز، تتناول حبات الفشار، أخفضت صوت التلفاز حينما أبصرت سارة تنضم إليها، لكنها تعجبت حينما رأت نضارتها عادت إلى وجهها وزينته ببعض المكياج القليل على الرغم من ارتدائها الملابس السوداء إلى أنها بدت جميلة حيوية، تساءلت چيلان بفضول:

- واضح إن فيه حاجة تفرح؟ ها قولي لي!

هزت سارة رأسها بابتسامة فارقتها طوال الفترة الماضية، وقالت:

- أحمد خلاص هيطلع يا چيچي.

- بجد! ده خبر جميل، أحمد ابن حلال وأنا كنت متأكدة إنه مظلوم..

لاذتا بالصمت هنيهة قبل أن ترمقها چيلان بنظرة خبيثة قائلة:

- امم أنتِ رايحة في حتة؟

ابتسمت سارة، وقالت بارتباك تواري إحدى خصلاتها خلف أذنها:

- آه رايحة للمحامي ويعني هشوف.. أتابع إجراءات خروجه و..

ضحكت چيلان وقالت بلؤم:

- طب خلاص خلاص، سكة السلامة!

حدقتها سارة بغضب مصطنع، وأخذت حقيبتها وخرجت ولا تدري كيف استطاعت الفرحة التسلل إلى قلبها من جديد!

****

لا يعرف خالد كيف عاد إلى منزله، في حين أن ذهنه كان شاردًا في آفاق أخرى يربط الخيوط ببعضها ويحل عُقَد أخرى، لا يريد استعادة تركيزه خشية أن تنفلت تلك الخيوط من بين يديه، أخذت الخادمة حذائه وسترته لتضعهما بمكانهما قبل أن يلقيهم في أي مكان وينزع نظامها، بينما سألها وهو يخلع فردة حذائه:

- زين نام ولا إيه؟

- لا يا بيه بيلعب مع الست هويدا جوا.

دلف إلى غرفة المعيشة؛ فنهضت هويدا، وصافحته قائلة لزين:

- أهو يا سيدي بابا جه، أمشي أنا بقا؟

- إيه هو إذا حضرت الشياطين ولا إيه؟

ضحكت برقة تضاهي ضحكة سعاد حسني في رقتها، وقالت:

- يا خبر! ماتقولش كده، بس..

- مفيش بس اقعدي اتعشي معانا وهبقى أنزل أوصلك، أكيد مش هسيبك تزَوحي لوحدك دلوقتي.

ركض نحوه ابنه يمسك بيده لفافة ورقية هاتفًا بصوته الضعيف البرئ:

- بابي.. بابي!

- نعم يا حبيبي، تعال!

جلس خالد وأخذ ابنه على حجره قائلًا:

- ها يا حضرة الظابط الصغنن قل لي!

- مش أنت يا بابي ظابط شاطر وبتعرف كل حاجة؟

ضحك خالد ملء فمه ودغدغ ابنه قائلا:

- طبعًا، وأنت كمان هتكون ظابط جامد أوي.

مد له ابنه اللفافة الورقية وقال:

- وأنا قلت لخالتو هويدا كده، إنك هتعرف تحل لغز الرسالة دي.

ارتقى خالد بنظره إلى هويدا الواقفة قرب باب الغرفة؛ فأربكتها نظراته، وقالت:

- أاا.. أنا هدخل أعمل قهوة يا خالد، أعمل لك معايا؟

- خليكي ما تتعبيش نفسك، فوزية تعملها.

- اا... لا عادي يعني، هي بردو تعبانة طول اليوم ومش هتعرف تعملها زي ما أنا عايزة.

ابتسم خالد وأومأ برأسه متمتمًا:

- أوكيه بشربها..

- سادة. قالتها مندفعة.

ترددت ابتسامة على زاويتي شفتيه وهز رأسه إيجابًا؛ فاختفت من أمامه وركضت نحو المطبخ بينما تنهد خالد وقد اعتراه الضيق لما شرع يتحسسه من تصرفات هويدا وإن كانت تبدو عادية أو غير مبالغ فيها لكن شعوره لا يكذب أبدًا. فتح اللفافة الورقية ومضى ابنه يضحك واضعًا كلتى يديه ع فمه؛ فغمز له والده متسائلًا وهو يفض الورقة التى وجدها خالية من أي كتابة؛ فسأل ابنه:

- دي ورقة فاضية!

- لا أنا كاتب لك فيها رسالة.

- فين يا زين.. أهو مفيش حاجة.

- ما هو ده اللغز يا بابي.

أخذ خالد يقلب الورقة بيده يتفحصها بملل حتما تسللت إلى أنفه رائحة ليمون؛ فأدرك ما فعله ابنه وابتسم، أنزل ابنه عنه وأخرج من جيبه ولاعته، ثم قام بتوليعها وحركها تحت الورقة لتظهر رسالة ابنه "بحبك يا بابي".

أخذ ابنه يقفز وهو يهتف:

- واو يا بابي.. you are so genius.

ضحك خالد يحتضن ابنه وهو يخبره أنه يحبه أكثر من حياته بأكملها، ثم سأله:

- قل لي بقا مين اللي علمك الكتابة السرية دي؟

أشار بإصبعه ناحية الباب حيث كانت تدخل هويدا تحمل بيدها فنجاني القهوة يزين ثغرها ابتسامة نضرة:

- خالتو هويدا علمتني وهي اللي كتبتها يا بابي.

لم تقو هويدا على مواجهة نظراته، وقد كسى وجهها حمرة الخجل؛ فتأكد خالد من استنتاجه، لم تفعل هويدا ذلك إلا لتجس

نبضه عما أضحى يعتمل بداخلها وما تُكِّنه لخالد من مشاعر رقيقة، لكنه لم يهتم لذلك بل شرد عقله في مكان أبعد كثيرًا، كما لو أنه تذكر أمرًا كان منسيًا أو ربما كان يحتاج إشارة ترشده إلى ضالته، أخرج هاتفه وخرج إلى النافذة وأجرى مكالمة بالتقني. أنهى خالد معه المكالمة بعدما ألقى عليه تعليماته وما كاد يغلق حتى ورده اتصال من حسام:

- ها يا عم حسام اشجيني!

- عرفت اللي حصل يا فندم؟

- خير، فيه حد اتقتل تاني!! قالها ساخرًا بينما جاءه الرد صادمًا:

- كانت على وشك تبقى القتيل رقم خمسة، وعد اتعرضت لمحاولة قتل من شوية يا فندم لكن لحقوها.

- إيه!! حصل ازاي ده؟

- حادثة عربية يا فندم، فيه عربية زنقت عليها وخبطتها لحد ما العربية اتقلبت والعربية التانية هربت لما لقت حد وقف يساعدها.

- امم وإصابتها خطيرة؟

- لا يا فندم لحسن الحظ، جرح في دماغها وكسر في دراعها.

- امم، طب اسمعني يا حسام شدد الحراسة على وعد، مش عايزها تغيب عن عينك لو حكمت تقف تحرسها أنت اعمل كده.

- فيه إيه يا فندم هو حضرتك شاكك..

- بالظبط يا حسام، وعد هي اللي عليها الدور.

أغلق خالد الهاتف واستعد للمغادرة؛ فنهضت هويدا على اعتقاد منها أنه يتأهب لتوصيلها لكنه استوقفها موضحًا:

- آسف جدا يا هويدا بس جالي شغل مستعجل، ومضطر أنزل مش هلحق أوصلك، تقدري تباتي مع زين النهاردة.

قالت بتردد مشوب بفرحة خفية:

- أبات هنا؟

رد خالد ليقطع دابر تفكيرها:

- أنا ممكن ماجيش غير الصبح دي حاجة، حاجة تانية إنك أخت مراتي وخالة ابني يعني زي أختي وربنا يعلم معزتك عندي.

تلاشت ابتسامتها إثر تصريحه بأنه يراها كأخت له، ورضخت لطلبه بإيماءة من رأسها. استصعب الأمر في البداية أن يكسر خاطرها لكنه لا يتمنى لها الألم الذي كانت ستعيشه حتمًا لو

واصلت تفكيرها به على هذا النحو، في حين انه يرى ذلك غير ممكنًا يومًا.

****

في ڤيلا محمود مخلوف، جلست وعد على الأريكة في حالة مزرية من انهيار الأعصاب كما كانت ذراعها مجبر إثر كسر به ورأسها ملفوف بشاش طبي على جرح رأسها، تولى وكيل النيابة " شريف عزام" التحقيق رفقة المقدم خالد الذي كان يرقب الأوضاع بحذر تام، منتبهًا لكل كلمة تخرج من فيها.

- آنسة وعد أولًا حمدا لله على السلامة! ثانيًا ممكن تحكي لنا اللي حصل بالتفصيل!

لمست مؤخرة رأسها بألم وهي تعتدل في جلستها، ثم قالت:

- أنا كنت راجعة من برة وسايقة العربية عادي مفيش مشاكل لحد ما خدت الطريق الصحراوي، فجأة لقيت فيه عربية ورايا ماشية بشكل غريب يمين وشمال، في الأول فكرته عايزني أقف يسأل عن حاجة أو حصل مشكلة في عربيتي وأنا مش واخدة بالي لحد ما لقيته بيحجز عليا، زودت السرعة لقيته هو كمان زود سرعته وبدأ يخبط العربية حاولت أهرب منه لكن سواقته بالشكل المجنون ده خلاني خبطت في الرصيف والعربية اتقلبت، وأغمي عليا بعدها فقت لقيت نفسي في المستشفى.

- امم، طب لمحتى نوع العربية اللي كانت بتطاردك أو الشخص اللي كان بيسوقها؟

- الدنيا كانت ضلمة ونور العربية ماكانش كافي بس أعتقد نوع العربية كان "كيا كارنز" أو حاجة شبهها مش متأكدة.

بدا عليها التعب وتثاقلت جفونها؛ فقال المحقق شريف:

- أنا عارف طبعًا إننا تعبناكي معانا بس معلش عندي سؤال، إيه اللي خلاكي تروحي مكان زي ده في وقت زي ده، أعتقد إنه بعيد عن بيتك.

- لا حضرتك إحنا عندنا مزرعة هناك على طريق الواحات وأنا رحت علشان أريح أعصابي وحصل كل ده وأنا راجعة من هناك.

- امم فهمت، شكرًا ليكِ يا آنسة وعد ماتقلقيش إن شاء الله هنجيبه في أقرب وقت.. اتفضلي وقعي على المحضر!

خرج شريف وخالد من القيلا، حيثما لمح الأول أمارات الحيرة تكسو وجه رفيقه؛ فقال متسائلًا:

- الأمور شكلها بتتعقد مش كده!

- بالعكس يا شريف، كل حاجة بقت واضحة وضوح الشمس إلا حاجة واحدة بس، لو اللي ف دماغي ظبط، بالكتير أوي هنكتشفها على بكرة الصبح.

"الانتقام من الطغاة أفضل انتقام"

توماس مور

8

في صباح اليوم التالي، تم الافراج عن أحمد وما إن خرج حتى فوجئ بسارة في انتظاره، كوردة في بهاء طلتها، ترتسم البسمة على محياها، افتر عن ثغره ابتسامة مُنهكة، تنم عن إرهاقه، كم كان يتوق أن يقف تحت المياه الباردة ويغتسل من آثار ذلك المكان البغيض ويرتمي على فراشه الذي أدرك مؤخرًا كم هو مريح! اقتربت منه سارة وقالت بخجل:

- حمدًا لله على السلامة!

- قصدك كفارة. قالها متهكمًا.

- أناا... أنا آسفة بجد إنك عشت ده كله بسببي وماعرفتش أعمل لك حاجة..

شعر بالضيق لأنه لم يكن يقصد ما قاله؛ فقال:

- مفيش داعي للأسف حصل خير.. أنا مش زعلان ماتضايقيش نفسك.

- بجد؟

ضيق عينيه وتغضن بين حاجبيه جراء قوة ضوء الشمس، فبدا لها غاضبًا لكنه هز رأسه إيجابًا محاولًا التبسُّم، لكنها لم تصدقه؛ فأردفت بلهجة تحمل بين طياتها التوسل:

- طب لو فعلا مسامحني هتقبل عزومتنا على الغداء النهاردة، چيلان حابة تحتفل بيك.

- صدقيني يا سارة مش هقدر النهاردة فعلًا تعبان و...

- بليز يا أحمد!

تنهد أحمد وأشاح بنظره مفكرًا، ثم التفت إليها وحدق بها بنظرة غامضة، وقال:

- وچيلان عاملة لي الممبار اللي بحبه؟

اتسعت ابتسامتها وهزت رأسها مرارًا بالإيجاب؛ فضحك ثم غادرا سويًا.

****

في قسم قصر النيل، كان خالد في طريقه إلى مكتبه رفقة حسام الذي بدا عليه الشرود؛ فتعجب خالد مقطبًا بين حاجبيه وسأله:

- مالك سرحان في إيه؟

هرش ذقنه، ثم قلب شفتيه بحيرة وقال:

- بصراحة يا فندم دماغي بقت عاملة زي شبكة العنكبوت، كل ما أسلكها من ناحية وأحاول أفهم تتعقد من نواحي تانية.

- امم، طب ما تجرب تفكر بصوت عالي.

- حاولت والله يا فندم مفيش فايدة نهائي، تَربسِت، ومع ذلك خليني أفكر مع حضرتك تاني:

دلوقتي إحنا جالنا بلاغ عن قتل كمال، القاتل كان عايزنا نفكره انتحر، بعد كده نكتشف علاقة كمال باتنين قتلة تانيين وهما مصطفى ووائل وهما التلاتة ليهم علاقة بموت فرح، لحد هنا وفهمنا برغم إن لسه ماوصلناش للقاتل، عز بقا ووعد إيه دخلهم بالموضوع؟

وبانتهاء حسام من سرد ما يدور بعقله كان ينتظر رد فعل مناسب من خالد، لكنه اندهش حينما رأى ضحكته الساخرة، حينها احترق بداخله وقود فضوله واستنتج أن قائده قد حل خيوط القضية وتأكد ظنه حينما لمح التقني ينضم إليهما ويزود خالد بملف أصفر قائلًا:

- ظن سيادتك كان في محله يا فندم، اتفضل الملف ده فيه تفريغ لكل الرسايل المشفرة.

افتر عن ثغر خالد ابتسمة ظفر وربت على كتف التقني وشكره، ثم دلف إلى مكتبه بينما لازال حسام يقف مندهشًا يحتل ملامحه علامات عدم الفهم فأغضبه ذلك وتلقائيًا لحق بخالد.

****

وبينما كانت سارة وچيلان يتبادلان رصَّ أطباق الطعام على المائدة، قالت سارة بتوتر وهي تعض بأسنانها على طرف سبابتها:

- تمام كده ولا ناسيين حاجة يا چيچي؟

- لا يا حبيبتي مفيش غير العصير والحلو بعد الغدا إن شاء الله.

سمعتا صوت جرس الباب، فاندفعت سارة نحوه وقبل أن تفتح ألقت نظرة على تسريحتها وزينتها في المرآة بجانب الباب، ثم ابتسمت وفتحت الباب ليظهر لها أحمد في مظهر أكثر صحة وأناقة عما كان عليه صباحًا وكأنما كان مريضًا واسترد عافيته أو عجوزًا عاد إليه شبابه، رد لها الابتسامة ودلف بعد ترحاب به كبير، دعتاه إلى السفرة ليتناولوا الطعام، جلس إلى المقعد المقابل لسارة وحمحم بإحراج وهو يقول لچيلان مشيرًا إلى أصناف الطعام المتنوعة:

- والله ماكنش له لزوم تتعبوا نفسكم!

- ماتقولش كده يا أحمد مفيش تعب ولا حاجة، حمدًا لله على سلامتك!

- ربنا يخليكي تسلمي!

- بالهنا والشفا!

شرعوا في تناول الطعام، بينما التهم أحمد ما وضع أمامه، ولم ينتبه لنظرات سارة الهائمة ريثما تباطأت في تناول الطعام حتى توقفت تمامًا، وعلى حين غرة سقطت دمعتها على طبقها، دمعة لا تعرف سببها أو ربما تكاثرت الأسباب لدرجة أرغمتها على التجاهل لكنها لم تستطع منع دموعها التي بدأت تنسال تباعًا والتي نجحت في مسحها بسرعة قبل أن يلمحها أحد، في تلك الأثناء انتبهوا لصوت التلفاز والذي كان يبث خبر القبض على الصيدلي ورئيس أحمد، فخفق قلبه ارتباكًا ومسح فمه بمنديله ونهض معلنًا إنهائه طعامه قائلًا:

- تسلم إيدك يا مدام چيلان، الأكل كان جميل حقيقي.

- بس يابني أنت ماكلتش حاجة..

- لا والله صدقيني شبعت على آخري.

- ألف هنا وشفا.. اتفضل!

دلف أحمد الحمام ليغسل يديه، حينذاك قرع الباب والجرس سويًا؛ فتعجبت چيلان وسارة يتبادلان نظرات القلق:

- مين اللي بيخبط كده؟

- مش عارفة يا چيلان، استني هشوف مين؟

فتحت الباب، وابتلعت صدمتها حينما رأت حسام أمامها وخلفه زوجًا من العساكر:

- خير يا فندم!

- آنسة سارة، اتفضلي معانا.

- أنا؟ ليه؟ فيه جديد.. يعني عرفتوا القاتل؟

- آنسة سارة مطلوب القبض عليكي.. هاتها يابني!

- أنت بتقول إيه؟ لا سيبها، أكيد فيه سوء فهم!

قالت چيلان وهي تحتضنها بفزع بينما تسمر أحمد من هول الصدمة ولم ينبس ببنت شفة.

****

دلف خالد مكتبه في خطى واثقة وابتسامة جلية على محياه، ألقى التحية على ضيوفه الذين طال انتظارهم؛ فكانت تجلس وعد أمام مكتبه ممسكة بذراعها المكسور يشتد عليها آلامه وأمامها والدها المستشار محمود مخلوف وبجانبها أخوها نادر، وإلى جانبه رجل آخر لم يتعرفوا عليه بعد، خلع خالد سترته ووضعها على ظهر الكرسي، ثم جلس ومازالت تزين ثغره تلك الابتسامة الغامضة، وسرعان ما انضم إليهم المحقق شريف:

- مساء الخير يا جماعة.. أهلا بحضرتك يا سيادة المستشار.

صافحه بشيء من البرود، فجفل المستشار ووجَّه حديثه إلى خالد بفظاظة:

- ممكن أعرف يا سيادة المقدم، حضرتك استدعيتنا ليه؟ مش شايف حالة بنتي ومع ذلك أصريت إنها تحضر!

اضطجع خالد في مقعده، وقال:

- الصبر يا سيادة المستشار، مش عايز تعرف مين اللي حاول يقتل بنتك ولا إيه؟

- عرفتوه؟ مين هو؟ سأل متلهفًا.

- هيشرف حالا ماتقلقش.

في تلك الأثناء وصل حسام، دلف ملقيًا التحية ومن خلفه دخل العسكري ممسكًا بذراع سارة والتي تزعزعت من هول الموقف، حدجتها وعد بنظرات استنكار بينما ابتدرهم خالد قائلًا:

- الآنسة سارة هي المعنية بمحاولة قتلك يا آنسة وعد.

هزت سارة رأسها برفض صميم تردد بفزع :

- ماحصلش، ماحصلش.

في تلك الأثناء وصل أحمد وتصلب مكانه من هول صدمة ما وصل مسامعه؛ بينما كادت چيلان أن تفقد وعيها؛ فقالت وعد:

- بس ليه؟ أنا ماعرفهاش حتى.

- امم ليه!! علشان نجاوب السؤال ده لازم نجيب من الأول وتحديدًا تحديدًا يعني من 6 سنين.

قال بنبرة أثارت الرعدة في أوصالهم؛ فاستطرد:

- الحكاية بدأت عند فرح.. "فرح أحمد عبد السلام" طالبة جامعة عين شمس كلية الآداب وزميلتك المقربة يا آنسة وعد..

كادت وعد تقاطعه فأشهر كفه في وجهها لتصمت وتابع:

- إحنا عارفين كل حاجة فمفيش داعي للإنكار.. عارفين إن فرح كانت ضحية مؤامرة سخيفة منك، لمجرد إنك بتحبي واحد مش بيبادلك نفس الشعور، لكنه حبَّها هي.. حاولتي أكتر من مرة تفرقي بينهم بس ماحصلش اللي بتتمنيه، وقتها شفتي إن أنسب حل إنك تسوئي سمعتها.. وبالفعل جبتي مصطفى واتفقتي معاه يصورها صور وقحة واللي صورها كمال خطيب سارة وبعتيها للصحفي وائل، وللأسف فرح كانت أضعف من إنها تتصدى لحقد واحدة زيك وجشع واحد زي مصطفى ومجتمع بالكامل بيصدق اللي بيشوفه من غير ما يعقله، الموضوع كله بالنسبة لك كان لعبة، طالبة جامعية دماغها لسه صغيرة اتعودت إن كل حاجة تعوزها تبقى ملكها، وربما رغم كده مش لاقية الحب في أسرتها والشخص الوحيد اللي حبته لقته بيتجاهلها فنتج عن ده تصرف أخرق وساذج لكنه للأسف توابعه كانت خطيرة وانتحرت البنت لما ماقدرتش تواجه كل ده ومات أبوها بحسرته..

لاذ بالصمت برهة يرمق سارة بنظرة انتصار ثم استتبع:

- الآنسة سارة يا سادة تبقى أخت فرح.. أختها من الأم، عاشت طول حياتها مع باباها في الكويت، ولما والدتها اتوفت اتعرضت لصدمة وتعبت نفسيًا خاصة إنها كانت بعيدة عنها طول حياتها، وزاد الطين بلة موت أختها فرح وبالطريقة البشعة دي، دخلت في حالة اكتئاب حاد وهي بتلوم نفسها باستمرار إنها ماكنتش جنب أختها، كانت بتعتقد إنها سبب موتها وإنها لو كانت معاها كانت قدرت تحميها وماكنتش ماتت، وده اللي عرفته من دكتور سعيد طبيبها النفسي لمدة خمس سنين قضتهم في المصحة هنا في مصر بعد ما ساءت حالتها في الكويت، مش هنكر إن ماكنش فيه أي شبهة حواليها خاصة وإن الجميع بيشهد بعلاقة حبها مع كمال لسنة كاملة ده غير تمثيلها الهايل في حزنها عليه، لكن فيما بعد لما لقيت إن طريق البحث اللي ماشي فيه مش جايب نتيجة وقررت أسلك طريق تاني، ظهر قدامي بعض الإشارات البسيطة، زي كلام مدام چيلان مثلا عن سارة لما زرتهم في البيت، في الوقت ده سارة نفسها بدت ردود أفعالها غير طبيعية بالمرة، مرة حزينة، مرة خايفة جدًا وكأن حد بيهددها أو بيراقبها، مرة تانية كأنها نسيت خطيبها بالمرة وكل تفكيرها اتجه لأحمد وازاي تخرجه من الورطة اللي وقع فيها وده طبعا كان نتاج شعورها بالذنب لأنها كانت السبب. وهنا قررت أتحرى أكتر عنها وبالتحديد

عن ماضيها وبالفعل توصلت لمعلومة مرضها النفسي، وبزيارة المصحة ودكتور سعيد عرفت سبب مرضها..

وفضل الوضع على ما هو عليه لحد ما ظهر في حياتها شخص قلب كل الموازين وكان هو نفسه الشخص اللي بيحب فرح بعد ما عانى الأمرّين بسبب موتها وفضلت نار الانتقام تزيد في قلبه يوم ورا التاني، وهو بيجمع كل المعلومات عن الأشخاص المسئولين عن موتها وهما: وعد ومصطفى وكمال ووائل، اتكلم مع سارة ووعدها إنهم ينتقموا منهم لو قدرت تخرج من المصحة وتساعده وبالتالى كده كان زودها بدافع للخروج من المصحة وادَّعت إنها خفت وبقت كويسة لدرجة إن الدكتور نفسه شاف إن مفيش خطورة من خروجها وإنها بقت أحسن..

رمقت سارة طبيبها بنظرات تحمل اللوم والعتاب؛ فبادلها إياها بنظرات شفوقة وقلبه ينفطر عليها، استأنف خالد:

- وكانت خطتهم كالآتي:

بدأوا سلسلة الانتقام من وائل اللي مات في حادث سير مقصود، وبعدها بدأت الخطة الفعلية وهي تعارف سارة على كمال، وعلشان يبقى الموضوع بعيد عن الشك دخلوا له عن طريق أحمد؛ فظهرت قدامه واتعرفوا وبشكل ما ذكرت قدامه إنها محتاجة مصور فوتوغرافيا لشغلها وهو طبعا رشح لها كمال واللي بعد كظه معروف، مثلت عليه الحب وهي اللي

جابت له السكن ده عن قصد واتخطبت له، وبعدين جه دور مصطفى واللي كلمته سارة على إنها زبونة واتفقت معاه على معاد لجلسة رسم تاتو لكن المفاجأة كانت إن اللي راح في الميعاد شريكها وقتله بطريقة بشعة لكنه شايف إنه أنسب عقاب لـ اللي عمله في فرح، وبعدها بقا جه دور كمال واللي اتخطط لقتله بحنكة كبيرة، القاتل مش محتاج يدخل العمارة ولا يثير الشكوك لأنه بالفعل في العمارة، ولا محتاج يكسر باب أو يدخل بعنف لأنه معاه نسخة من المفتاح اللي عملتها سارة طبعًا، وعقبال ما انتبه كمال لدخوله كان كممه بالمخدر وبعدها كان سهل يخنقه بالحبل ويعلقه ويمسح أي آثار بصمات ويكتب رسالة الانتحار ويطبع بصمات كمال على الكيبورد كمان..

صمت هنيهة وهو يتابع تعبيرات وجه سارة المضطرب، مرر لسانه على شفتيه بحذاقة، وتابع:

- وبإذن من النيابة قدرنا نطَّلع ع سجل مكالماتك ف الأيام الأخيرة، طبعا مالقناش أي مكالمات بينك وبين شريكك و ده لأنك كنتي بتكلميه برسايل مشفرة ع الواتساب احتسابًا لأي خطأ، رسايل عادية جدًا، في ظاهرها صور لكن بعد فك التشفير تظهر رسايل نصية عن آخر التطورات اللي وصلتوا لها في كل مرحلة، لكن لقينا مكالمة بينك وبين سامح اللي كان بيشتغل عند مصطفى والمكالمة دي كانت بعد مقابلتنا معاه

بدقايق وبالرجوع لسجل المكالمات قبل شهر لقينا عدة مكالمات بينك وبينه قبل قتل مصطفى بكام يوم.

- ومين شريكها مين كان الشخص ده؟

سأل أحمد متلهفًا؛ فأجابه خالد بابتسامة ظفر:

- الأستاذ عز أو مراد بمعنى أصح. واللي تعمد إنه يظهر قدام إلهام صاحبة وعد وحكى لها قصته المزيفة إنه مش لاقي شغل وإنه اترفد من شغله علشان اتهموه بتسريب ملفات وما إلى ذلك، علشان يقدر يدخل حياة وعد بدون إثارة الشكوك حواليه لكن كان هدفه الأساسي الانتقام منها، ولأنه اتقتل قررت سارة تكمل اللي فضل ناقص وتاخد انتقامه هو كمان.

راقب خالد الأفواه المتسعة بانتشاء، بينما تساءل نادر بغير تصديق:

- كلام مش منطقي يا سيادة المقدم، إزاي عز هو القاتل إذا كان هو كمان اتقتل.

- من واقع تحرياتنا يا أستاذ نادر وتقرير الطب الشرعي، قاتل كمال غير قاتل عز، لأن قاتل كمال ومصطفى بيستخدم إيده اليمين واللي هو مراد، أما قاتل عز بيستخدم إيده الشمال.

- ومين هو اللي قتل مراد؟ سأله المستشار.

- دي بقا مفاجأة تانية يا سيادة المستشار وأنا فعلا آسف لـ اللي هقوله، بس اللي قتل مراد هي بنت حضرتك الآنسة وعد.

الصدمة صفعت وجوههم، بل شلت أدمغتهم؛ فتصلبت ألسنتهم وعجزت أوصالهم عن الحراك، فقط تتمثل الدهشة في أعظم صورها بأعينهم المتسعة وأفواههم التي كادت تظهر منها حناجرهم، وعلى النقيض من ذلك كان يغمر خالد شعور بالانتصار المشوب ببعض الأسى ومع ذلك واصل

شرح استنتاجه:

- وعد عرفت بشكل أو بآخر إن اللي بيهددها هي وكمال هو مراد وماكنتش تعرف إنه ساكن تحت كمال، ولما راحت تحذر كمال وتعرفه إنها عرفت مين اللي بيهددهم -ودي كانت حركة غبية منها- لقت كمال مقتول، نزلت تجري لكن لسوء الحظ صادفت مراد، بعد الشد والجذب بينهم وقعت محفظتها وشاف صورتها وعرف إنها عرفت كل حاجة، حاول يتمكن منها لكنها طلعت مطواة كانت واخداها معاها احتياطي لأنها مش مآمنة لكمال وده إجراء طبيعي بعد ما صمم إنها تقابله في بيته كونه خايف يخرج من البيت، قررت تطعن مراد علشان تنقذ نفسها، طعنته 3 مرات علشان تتأكد من موته بعد ما صعب عليها نفسها إنه بيضحك عليها على الرغم من حبها ليه ومخاطرتها علشانه، ولا إيه يا آنسة وعد! مش أنتِ بردو بتستخدمي إيدك الشمال؟

قال متذكرًا لحظة أن وقعت على أقوالها في الليلة السابقة.

- والساعة الرولكس اللي مابتقلعيهاش تقريبًا، فيه شاهد على الواقعة شافها وأنتِ بتقتليه، كنتي لبساها يوم الجريمة ولما جيت آخد أقوالك في البيت ويوم ماطلبتك أنتِ وإلهام، طبعا بالاضافة للبصمات اللي لقيناها على باب الشقة والأكيد إنها بصماتك.

لم تتفوه بحرف، تنظر إلى اللا شيء وتيبَّست ملامحها بدت على تلك الحالة التمثالية كالتي كانت عليها يوم قتل مراد، غير أن دموع الحسرة باتت تهطل من عينيها كينبوع تم الإفراج عنه، لكن ما خرج عن الصمت كانت تلك سارة التي هجمت عليها وسددت لها صفعة أطاحت بوجهها، ومضت تصرخ باكية بانهيار:

- هتقول إيه؟ ها هتقولي إيه؟ هتقول إنها دمرت حياتي وحياة أختي، فضحتها وشوهت سمعتها وقتلتها كمان، أيوا قتلتيها لما استنجدت بيكي رغم إنك سبب كل مصايبها واتخليتي عنها والدنيا ضاقت بيها لحد ما قررت تفارقها، منك لله، هقتلك والله لأقتلك، مش ندمانة على أى حاجة عملتها وقدامهم بقولك هاخد حق أختي اللي حرمتيني منها في عز شبابها..."

في تلك الاثناء كان يحاول كل من أحمد وحسام أن يبعداها عن وعد بعد أن أثخنت وجهها بالدماء بأظفارها في حين أخرج الطبيب محقن وسارع في غرسه بذراعها؛ فبدأت روحها

الثائرة تهدأ وتهاوى جسدها على الأرض، سندها أحمد بذراعه تسقط دموعه لتتلاقى بدموعها حتى فقدت الوعي.

بعد ذلك انفضَّ الجمع، وتم حجز وعد لحين عرضها على النيابة بينما تم نقل سارة إلى المصحة النفسية، تنهد حسام بعمق وقال:

- وأخيرًا يا خالد بيه خلصنا من القضية دي!

- امم.. خلصنا. قالها شاردًا؛ فتبادل شريف وحسام النظرات، ثم علق شريف:

- واضح إن خالد مشفق على سارة.

هز خالد رأسه متأسيًا:

- مش سارة بس، الوضع كله مثير للشفقة يا شريف، حتى وعد، أهلها هما السبب الرئيسي في كل اللي بيحصل، محدش عالج نرجسيتها لحد ما زادت عن حدها واتسببت في دمار أسرة كاملة، البنت انتحرت وأبوها مات مقهور عليها وأختها بقت مريضة نفسية وشاركت في قتل 3 أشخاص، وشاب زي الورد، محامي، راح فيها بعد ما بقا مجرم وقاتل.. منتهى العبث!

.....

بعد ستة أشهر:

في المصحة النفسية، وعلى مقعد خشبي بقلب حديقة غناءة بالخضرة والزهور العبقة بأريج مبهج، جلست سارة بتململ، تنتظر زيارتها الموعودة ككل أسبوع، لماذا تأخر عليها هذه المرة؟ هل جزع من زياراتها المتكررة؟ زيارة مريضة نفسية فاقدة النطق، بل وفقدت الشهوة تجاه الحياة بشتى مغرياتها، لا تعرف إن كان سيأتي أم قرر قطع حبل الوصال بينهما، لكن ما تعرفه أنه يمدها بأمل من أجله تود التعافي، وإذا سرق منها هذا الأمل، لن يبقى لها ما تتشبث به في هذه الحياة، الفكرة وحدها أرعبتها، قفزت من مكانها بفزع وكأنما لدغتها حية، تضغط على جانبي رأسها بقوة كادت تقتلع معها شعرها من جذوره، يؤزها قلبها من شدة الخفقان، جلست على المرجة العشبية بجانب المقعد، تحيط نفسها بذراعيها كالجنين في رحم أمه حتما تفاجأت بوردة حمراء أمام عينيها يمسكها شخص يقف خلفها؛ فالتفتت بهلع، ودمعت عيناها بغزارة حينما أبصرته، وسمعته يقول برقة:

- آسف يا حبيبتي، اتأخرت عليكي! كان غصب عني الطريق كان زحمة أوي.

بكت من شدة فرحتها وابتسمت من بين دموعها ونهضت ليجلسا إلى جانب بعضهما على المقعد الذي نحتت به اسمها واسمه دون أن ينتبه أحد، حينئذ قاطعهما الطبيب يتساءل عن

حالها؛ فأومأت له برأسها أنها بخير، ثم أخذه أحمد على جانب وقال:

- إيه الأخبار يا دكتور، طمني! مفيش أي تحسن؟

- مين قال كده! إحنا كنا فين وبقينا فين، نوبات الهلع قلت كتير، كمان محاولاتها للانتحار انتهت يمكن أكتر حد بتستجيب له هو أنت وبتكون في أحسن حال بعد زيارتك ليها، كمان بدأت تتجاوب معانا وده مؤشر ممتاز، أظن قريب جدًا هنسمع صوتها من تاني وهتخف نهائيًا.

- يا رب يا دكتور، حضرتك أسعدتني بالكلام ده، شكرًا!

ربت الطبيب على كتفه باسمًا، ثم عاد أحمد ليجلس بجانب سارة ليستمتع بسماع أحاديثها الصامتة!

تمت بحمد الله